التجديد والمجددون فى الاسلام

الامام الأعظم أبو حنيفة — دراسات فى مذهبه

أين نشأ مذهب أبى حنيفة ؟ ما هى البلاد التى انتشر بها ؟ ما هى عوامل انتشاره ؟

نشأ مذهب أبى حنيفة بالكوفة موطن الامام ، ثم شاع فى بلاد بعيدة ؛ وإذا قدرنا عدد المسلمين على ظهر الكرة الأرضية بأربعمائة مليون نسمة ، فأكثر من نصف هذا العدد يقتدى بالإمام أبى حنيفة .

من عوامل انتشار هذا المذهب أنه لما قام الرشيد فى الخلافة ، وولى القضاء الإمام أبا يوسف صاحب أبى حنيفة ، أصبحت تولية القضاة بيده ، فلم يكن يولّى ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الى أقصى إفريقية إلا من أشار به ، وكان لا يولى إلا أصحابه والمنتسبين الى مذهبه ، فشاع المذهب الحنفى فى هذه البلاد شيوعا عظيما ، كما شاع المذهب المالكى بالأندلس بسبب تمكن يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم ، ولذلك يقول ابن حزم : مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : الحنفى بالمشرق ، والمالكى بالأندلس . ويقول المقريزى : لم يزل المذهب الحنفى غالبا على هذه البلاد لإيثار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء ؛ ولقد بلغ من تمسكهم به فى القضاء أن القادر بالله استخلف مرة أبا العباس أحمد بن محمد البارزى الشافعى عن أبي محمد الأكفانى الحنفى قاضى بغداد باشارة أبي حامد الأسفرايني ، من غير رضا الأكفانى، وكتب أبو حامد المذكور الى السلطان محمود بن سبكتكين أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية ، فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد بهذا حزبين ثارت بينهما الفتن ؛ فاضطر الخليفة الى صرف البارزى ، وأعاد الأمر الى حقه ، وأجراه على قديم رسمه ، وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة ، وخلع على الأكفانى ، وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة ، وكان الغالب على إفريقية — والمراد بها ما يشمل طرابلس وتونس والجزائر — السنن والآثار ، الى أن قدم عبد الله بن فروخ بمذهب أبى حنيفة ، ثم غلب عليها لما ولى قضاءها أسد بن الفرات كما قال المقريزى ؛ ثم بقى غالبا عليها حتى حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك ؛ وهو الغالب الى اليوم على أهلها إلا قليلا منهم يقلدون المذهب الحنفى كما قال ابن الأثير .

ويستفاد من معتبرات الكتب أن أسد بن الفرات خرج من القيروان الى الشرق سنة اثنتين وسبعين ومائة ، فسمع الموطأ على مالك بالمدينة ، وكان أصحاب مالك : ابن القاسم

وغيره ، يحملون أسدا على سؤال مالك عن مسائل ، وكان مالك رضى الله تعالى عنه يتلطف مع أسد ويجيبه عن مسائله دونهم لكونه رحل اليه من بلد بعيد ؛ لكن لما أكثر أسد من السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك حتى قال له يوما : « سلسلة بنت سلسلة ، إذا كان كذا كان كذا ، إن أردت هذا فعليك بالعراق ! » وفى رواية أخرى : أنه سأل مالكا يوما عن مسألة فأجابه عنها ، فزاد أسد فى السؤال ، فأجابه ، ثم زاده . فقال له مالك : حسبك يا مغربى إن أردت هذا فعليك بالعراق ! فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ، ويفوته ما يرغب فيه من لقيا الرجال والرواية عنهم ، فرحل الى العراق وسمع من أصحاب أبى حنيفة ، منهم أبو يوسف ، وأسد بن عمرو البجلى ، ومحمد بن الحسن ، وكان أكثر اختلافه الى محمد بن الحسن ، ولما حضر عنده قال له : إنى غريب قليل التفقه ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثيرون ، فما حيلتى ؟ فقال له محمد : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتبيت عندى وأسمعك . قال أسد : وكنت أبيت عنده ، وينزل الى ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ، ثم يأخذ فى القراءة ، فاذا طال الليل ورآنى نعست ملأ يده ونضح على وجهى فأنتبه ، فكان ذلك دأبه ودأبى حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه ؛ وكان محمد بن الحسن يتعهد أسدا بالنفقه بعد أن علم أن نفقته نفدت ، وسعى فى نفقته عندما أراد الانصراف من العراق ، الى آخر ما هو مسطر فى معالم الايمان .

ولما انصرف أسد من العراق بعد أن زقه محمد العلم زقا ، نشر مذهب أبى حنيفة ومالك بأفريقية ، ثم اقتصر على نشر مذهب أبى حنيفة ، فانتشر فى ديار المغرب الى الأندلس ، حتى أصبح الأكثرون فى أفريقية على مذهب أبى حنيفة الى عهد ابن باديس .

وأسد بن الفرات هذا هو فاتح صقلية وناشر الاسلام بها ومذهب أبى حنيفة ، وتوفى سنة ٢١٣ هـ .

ولقد شرح المقدسى الصلة بين مذهب أبى حنيفة ومذهب مالك وقال إن أهل المغرب يعتبرون هذين المذهبين بحرين ، ويعتبرون الاخاء الصادق بين الفريقين المتمذهبين بهذين المذهبين ؛ حتى قال بعض كبار الفقهاء من المالكية : إذا لم تكن فى مسألة رواية عن مالك يؤخذ بقول أبى حنيفة فيها ؛ بل حصر بعضهم الخلاف بين هذين المذهبين فى اثنتين وثلاثين مسألة . فالأئمة المتبوعون كأسرة واحدة ، ترى مالكا يذاكر أبا حنيفة فى العلم فى المسجد النبوى وينتفع كل بما عند الآخر ، ويثنى مالك على أبى حنيفة ويقول : لم أر مثله . ومحمد بن الحسن يسمع الموطأ من مالك ، والشافعى يسمع الموطأ على مالك ويتفقه على محمد بن الحسن ، وأحمد يتفقه عند أبى يوسف والشافعى وينتفع بكتب محمد بن الحسن ؛ وبهذا نالوا بركة العلم ؛ وأما ما يروى من كلام بعضهم فى بعض فأكاذيب لفقها المغرضون ، وانخدع بها

من الخدع من البسطاء ، وإذا راجعت كتب بلوغ الأمانى ، وحدوث المذاهب ، وكلام الباجى فى شرحه على حديث الداء العضال من المنتقى شرح الموطأ ، وجدت ما يكفى فى هذا ويشفى .

وكان أهل مصر لا يعرفون مذهب أبى حنيفة حتى ولى قضاءها اسماعيل بن اليسع الكوفى من قبل المهدى سنة ١٦٤ ه وهو أول قاض حنفى بمصر ؛ وأول من أدخل مذهب أبى حنيفة إليها ، وكان من خيرة القضاة ، إلا أنه كان يذهب الى إبطال الأحباس « الأوقاف » فثقل أمره على أهل مصر وقالوا : أحدث لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا ! فعزله المهدى كما قال ابن حجر وغيره .

ثم شاع بمصر المذهب الحنفى بعد ذلك مدة تمكن العباسيين ، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصورا على الحنفية ، بل كان يتولاه الحنفية تارة ، والمالكية أو الشافعية تارة أخرى كما قال المقريزى ، الى أن استولى عليها الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة الاسماعيلية ، وولوا القضاة منهم ، فقوى مذهبهم ، إلا أنه لم يقض على المذاهب السنّية فى العبادات لأنهم كانوا يبيحون غالبا للرعية التعبد بما يشاءون من المذاهب . وكان مذهب مالك والشافعى وأحمد ظاهر الشعائر فى مملكتهم بخلاف المذهب الحنفى فكان الفاطميون يغضون منه لأنه كان مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم كما قال بعض المحققين .

ولما قامت الدولة الأيوبية بمصر قضت على التشيع فيها ، وأنشأوا المدارس للشافعية والمالكية ؛ وكان نور الدين الشهيد حنفيا ، فنشر مذهب أبى حنيفة ببلاد الشام ، ومنها كثرت الحنفية بمصر ، وقدم إليها عدة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الأيوبى المدرسة السيوفية بالقاهرة ؛ وما زال مذهب أبى حنيفه ينتشر ويقوى ، حتى استولت الدولة العثمانية على مصر فحصر القضاء فى الحنفية ، وأصبح المذهب الحنفى هو مذهب أمراء الدولة وخاصتها ، ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولى القضاء ، ولم يزل مذهب أبى حنيفة هو المذهب الرسمى للدولة المصرية الى يومنا هذا ، وبه يفتى ويقضى ؛ وقد ملأ طباق الأرض ؛ فانك تجده منتشرا الآن بين المسلمين فى جميع قارات الدنيا على قلة فى بعضها وكثرة فى بعضها الآخر ، وقد نفع الله به الملايين من المسلمين ، فجزى الله أبا حنيفة عنهم خير الجزاء .

ومن العوامل التى أدت الى سعة انتشار مذهب أبى حنيفة أيضا زيادة رغبة الناس فيه ، لأنه أوسع المذاهب ، وأكثرها يسرا ، وأيسرها للمجتهد استنباطا ، لاشتماله على الأصول والقواعد وعلل الأحكام الشرعية التى علل الشارع بها الحكم ، وأداره عليها وجودا وعدما ، ونصبها أمارات عليه ولا سيما فى المعاملات التى القصد منها مصالح الخلق ، وعمارة الكون ؟

السيد عفيفى

حياة رجالات الاسلام

عبد الله بن عمرو

ذكرنا فى المقال السابق أن عبد الله بن عمرو بن العاص تميّز عن أقرانه من نوابغ الاسلام الاولين بغزارة علمه ، وسعة اطلاعه على السنة النبوية ، وحفظ حديث الرسول ووقائعه ؛ وعرفنا أن الذى ساعد على ذلك معرفته بالكتابة ، فكان يحفظ ويكتب ، وكان غيره يحفظ ولا يكتب ، كما أخبر بذلك أبو هريرة رضى الله عنه ؛ وعرفنا أن اطلاعه تعدى حدود القرآن والسنة الى التوراة بلغات أهلها ، فأصاب من ذلك علما تفرد به ، كان يجدر بمؤرخى الاسلام ورجال الحديث ، وكاتبى السيرة النبوية ، وعلماء التفسير ، أن يجعلوا علم عبد الله بن عمرو وأضرابه من الثقات الأثبات ميزانا لعلم غيرهم من رواة أخبار التوراة ، ومقياسا لروايات الذين أكثروا من الحديث عنها من أمثال كعب الأحبار ، و نوف البكالى ، ووهب بن منبه ، فإن منزلة عبد الله بن عمرو من الصدق والإتقان والفقه فى الدين ترفعه عن منازل الارتياب ؛ ولو أن العلماء تنبهوا الى مثل هذا منذ القدم لأمكن تصفية التاريخ الاسلامى من هذه الأقاصيص الإسرائيلية المهلهلة ، التى ملأت كتب التفسير والسيرة وشروح الحديث ؛ وإذ فات هذا فلا أقل من أن يجعل الباحثون أحاديث عبد الله وأضرابه بعد التثبت من صحة روايتها وسيلة لامتحان هذه القصص المسطورة فى الكتب .

وقد انضافت الى ميزة عبد الله بن عمرو العلمية ميزة أخرى لا تقل عنها أثرا فى حياته ، تلك هى شدته على نفسه فى العبادة ، فقد كان رضى الله عنه من عبّاد عبادلة الاسلام ، أخذ نفسه بأحزم ما يأخذ به أنفسهم العابدون ، حتى ضجر له أبوه ، ورثى لحاله ، واحتال لإخراجه من موقفه ، فزوجه بامرأة ذات جمال وحسب علّها تأخذ من نفسه مكانا يصرفه بعض الشىء عن هذا الجهد الذى صار اليه من إدامة الصيام بالنهار والقيام بالليل ، فلم تؤثر فيه شيئا ، وشكاه أبوه الى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ روى البخارى فى صحيحه عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال : « أنكحنى أبى امرأة ذات حسب ، فكان يتعهد كنّته فيسألها عن بعلها ، فتقول : نِعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كنفا مذ أتيناه ! فلما طال ذلك عليه ، ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إلقنى به ، فلقيته بعد ، فقال : كيف تصوم ؟ قال : كل يوم ، قال : وكيف تختم ؟ قال : كل ليلة ، قال : صم فى كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن فى كل شهر ، قال . قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم ثلاثة أيام فى الجمعة ،

قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : أفطر يومين ، وصم يوما ، قال : قلت : أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم أفضل الصوم ، صوم داود : صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ فى كل سبع ليال مرة ؛ فليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذاك أنى كبرت وضعفت . قال مجاهد : فكان يقرأ السبع من القرآن بالنهار على بعض أهله ، والذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى ، وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق النبيَّ صلى الله عليه وسلم عليه » .

هذا الأدب النبوى الكريم رفع عن الأمة الاسلامية غشاوة الرهبنة التى أوشكت أن تتفشى فيما بين كثير من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد همّ بعضهم بأمر عظيم يصيب الأمة فى ذريتها ونسلها ، ولكن رحمة النبى صلى الله عليه وسلم أدركتهم ، وفقهوا أن الشريعة لم تنزل لتعذيبهم وإنما جاءت لتهذيبهم ، فتواصوا بهذا الأدب الرحيم ؛ روى البخارى « أن النبى صلى الله عليه وسلم آخى بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ؛ فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما ، فقال : كلْ ، قال : فانى صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل ، قال سلمان : قم الآن ، فصلّيا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه ؛ فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق سلمان » .

عاش عبد الله بن عمرو بعيدا عن الفتن السياسية ، لم يعرف له فيها اتجاه خاص ، رغم ما كان لأبيه عمرو بن العاص من مكانة باعتباره من دهاة العرب وقواد المسلمين وأمرائهم ، حتى اشتد الخلاف بين على ومعاوية ، وكتب معاوية الى عمرو وهو بفلسطين يستدعيه ليكون من حزبه فى رغائب وأطماع أعطاها له ؛ ظهر حينئذ عبد الله بن عمرو الى جانب أبيه أولاً مستشاراً ناصحا ، لا تميل به الدنيا ولا يستهويه السلطان ؛ ذكر المؤرخون : أنه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبد الله ومحمدا ، وقال : يا بنى إنه كان منى فى أمر عثمان فلتات فلم أستقلها بعدُ ؛ وقد كان من هربى بنفسى حين ظننت أنه مقتول ما قد احتمله معاوية عنى ، وقد قدم على معاوية جرير ببيعة علىّ ، وقد كتب الى معاوية بالقدوم عليه ، فما تريان ؟ فقال عبد الله : « أرى والله أن نبى الله قبض وهو عنك راض ، والخليفتان من بعده كذلك ، وقتل عثمان وأنت غائب عنه ، فأقم فى منزلك فلست مجمولاً خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، وستهلكان فتستويان فيها جميعا » . وقال محمد : « أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها ، فان ينصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل يصغر أمرك ،

فالحقْ بجماعة أهـل الشام ، واطلب بدم عثمان فانك به تستقيل الى بنى أمية » . فقال عمرو : « أما أنت ياعبد الله فأمرتنى بمـا هـو خير لى فى دينى ، وأما أنت يامحمد فقد أمرتنى بمـا هو خير لى فى دنياى » .

وقد أخـذ عمرو برأى محمد وانحاز الى معاوية فى حرب على ، ولم يقو عبد الله على مخالفة أبيه ، بل وقف الى جانبه فى صفوف أهـل الشام ، وكانت الراية بيده يوم صفين ، وقد ندم واعتذر لنفسه ؛ قال أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب : « واعتذر عبد الله رحمه الله من شهوده صفين ، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم ، وأنه إنمـا شهدها لعزمة أبيه عليه فى ذلك ، وأن رسول الله صـلى الله عليه وسلم قال له : أطع أباك ! ! وكان يقول : مالى ولصفين ؟ مالى ولقتال المسلمين ؟ ! والله لوددت أنى مت قبل هذا بعشر سنين ! ثم يقول : أما والله ما ضربت فيها بسيف ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم ، ولوددت أنى لم أحضر شيئا منها ، وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه ؛ وندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية ، وجعل يستغفر الله ويتوب إليه » .

والناظر فى موقف عبد الله يرى أنه أقحم على الحرب إقحاماً لم يكن له فيه كبير اختيار ، وأنه لم يكن كغيره يحارب عن عقيدة وإخلاص ، أو عن طمع فى دنيا يصيبها ، ولـكنه كما يبدو من اعتذاره مغلوب لأبيه ، ولذلك فإنه رضى الله عنه كان لا يبالى أن يرمى بالـكلمة يعتقد أنها الحق فى آذان القوم على مسمع من أبيه ، وعلى مشهد من معاوية متى سنحت له الفرصة ؛ روى صاحب العقد عن حنظلة بن خويلد قال : « إنى لجـالس عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان فى رأس عمّـار ، كل واحد يقول : أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتلك الفئة الباغية » .

وحدث البيهقى فى المحاسن أن عمرو بن العاص قال لابنه عبد الله يوم صفين : تبين لى هل ترى على بن أبى طالب رضى الله عنه ؟ قال عبد الله : فنظرت فـرأيته فقلت : ياأبت هاهو ذاك على البغلة الشهباء عليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء ، قال : فاسترجع وقال : والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ، ولا بيوم اليرموك ، ولا بيوم أجنادين ، وددت أن بينى وبين موقفى بعد المشرقين ! فقلت : ياأبت فمـا الذى يمنعك ؟ فوالله ما يحول بينك وبين ذلك أحد ! فقال :

إن يرجع الشيخ ولم يعـذّر إذ نزل القـوم بضنك فانظـر
ثم تأمل بعد هـذا أو ذر

ولعل ذلك هو السبب فى أن معاوية كان يرى عبد الله بن عمرو أقرب الى نفوس أصحاب علىّ ، فإذا شمرت الحرب عن ساقها ، واحتوشت الشاميين بين أضراسها ، هتف معاوية رحمه الله بعبد الله ليدعو الناس الى المهادنة ؛ روى ابن قتيبة : أن معاوية دعا عبد الله بن عمرو فأمره

أن يكلم أهل العراق ، فأقبل عبد الله حتى إذا كان بين الصفين نادى « يا أهل العراق ! أنا عبد الله بن عمرو بن العاص ، إنه كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا ، فإن تك للدين فقد والله أسرفنا وأسرفتم ، وإن تك للدنيا فقد والله أعذرنا وأعذرتم ، وقد دعوناكم لأمر لو دعوتمونا إليه أجبناكم ، فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله ، وإلا فاغتنموا هذه الفرصة لعل الله أن ينعش بها الحي وينسى بها القتيل ، وإن بقاء الحي بعد الهالك قليل » .

وهذا كلام يخرج من قلب مخلص أشد الإخلاص ، وراغب أقوى الرغبة فى حقن دماء المسلمين ، وحسم ما بينهم من فتن جائحة شهد عبد الله بن عمرو أهوالها فعبر عنها - كما يقول صاحب العقد - بهذه الأبيات :

فإن شهدت جمل مقامى ومشهدى ... بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كأنهم ... سحاب ربيع رفّعته الجنائب
وجئناهم نترى كأن صفوفنا ... من البحر مدّ موجه متراكب
إذا قلت ولوا سراعا بدت لنا ... كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم ... سراة النهار ما تولى المناكب

وكان عبد الله ملازما لأبيه فى ولايته على مصر ، فكان مؤسس مدرسة الفقه والمعارف الاسلامية وصاحب الفتيا فيها ، ولما حضر أباه الموت قام بامره وأوصى اليه ، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : « لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال له ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ قال : لا والله ، ولكن لما بعده ! فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتوحه الشام . فقال له عمرو : تركت أفضل من ذلك ، شهادة أن لا إله إلا الله ، إنى كنت على ثلاث طبقات ، ليس منها طبق إلا عرفت نفسى فيه ، كنت أول شيء كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو مت يومئذ وجبت لى النار ، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشد الناس حياء منه ، فما ملأت عينى من رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه ، فلو مت حينئذ قال الناس : هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير ، ومات على خير أحواله فترجى له الجنة ، ثم بليت بالسلطان وأشياء فلا أدرى أعلىّ أم لى ؟ فإذا مت فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعنى مادح ولا نار ، وشدوا على إزارى فإنى مخاصم ، وشنوا علىّ التراب شنا ، فإن جنبى الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا ، وإذا واريتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعها بينكم أستأنس بكم » .

صادق عرجون

عمر بن عبد العزيز

— ٧ —

حال عمر بعد موت ابنه عبد الملك :

كان عمر يحب ابنه عبد الملك حبا جما ، وعلى الرغم من هـذا فلم يملك عليه الحزن جميع حواسه ومشاعره ، ولم يأخذ منه كل مأخذ ، ولم يشغله عن أمور المسلمين . بل لما رجع من دفنه رأى قوما يرمون ، فلما رأوه أمسكوا ؛ فقال : ارموا ، ووقف عليهم ؛ فرمى أحـد الرامين فأخرج ؛ فقال له عمر : أخرجت فقصر . ثم قال للآخر : ارم ، فقصر ؛ فقال عمر : قصرت فبلِّغ ؛ فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين أتفرغ قلبك لما تفرغ له وقـد نفضت يدك من تراب ابنك الساعة ولم تصل الى منزلك بعد ؟ فقال له عمر : يا مسلمة إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فالْهُ عما فاتك .

تعازى الناس له فى ابنه :

وقد عزاه محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ليشغلك ما أقبل من الموت عليك ، عما هو فى شغل مما يدخل عليك ، وأعد لنزوله عدة يكن لك حجابا وسترا من النار . يا أمير المؤمنين لو ترك رجل تعزية أخيه لعلمه وانتباهه ، لـكنته ، ولـكن الله قضى بأن الذكرى تنفع المؤمنين .

وقد عزاه أعرابى من بنى كلاب فقال :

تعـز أمـير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغذى الوليد ويولد
هل ابنك إلا من سلالة آدم ... لـكل على حوض المنية مورد

من أولاده عبد العزيز :

ولى المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك ، ثم ثبته مروان بن محمد عليهما ، ثم عزله .

أسند الحـديث عن صالح بن كيسان ، وعن يحيى ، وعن مكحول ، وروى عن صالح ابن كيسان ، عن عثمان بن عفان . دعاه أبو جعفر وقال له : كم كانت غلة أبيك حين أفضت إليه الخلافة ؟ فقال : خمسين ألف دينار . قال : وكم كانت غلته يوم مات ؟ قال : ما زال يردها حتى كانت مائتى دينار ، ولو بقى على قيـد الحياة لردها . وحثه أبوه على ألا يسىء الظن فيما سمعه من الـكلام بل يحمله على الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فقال له : يا بنى إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملا من الخير .

ومن أولاده عبد الله :

نشأ نشأة دينية ، وجمع بين العلم والأدب ، وتولى ولاية الكوفة . حضر ذات يوم يستكسى أباه وهو خليفة ، فقال : يا أبت اكسنى ؛ فقال : اذهب الى الخيار بن رياح البصرى فإن لى عنده ثيابا نخذ منها ما بدالك ؛ فذهب الى ابن رياح وقص عليه قصصه ، وما كان من أمر أبيه له بالذهاب إليه ، فقال الخيار : صدق أمير المؤمنين ، ثم أخرج له ثيابا سنبلانية أو قطرية ، وقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندى ، نخذ منها ما عنّ لك أن تأخذه ؛ فقال عبد الله : ما هذا من ثيابى ولا من ثياب قومى ، ثم رجع الى أبيه وقال له : يا أبتاه استكسيتك فأرسلتنى الى الخيار بن رياح ، فأخرج لى ثيابا ليست من ثيابى ولا من ثياب قومى ؛ فقال عمر لابنه : هذا ما لنا عند الرجل . فانصرف عبد الله كاسف البال ، حتى إذا كاد يخرج ناداه وقال له : هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟ قال . نعم يا أبتاه ؛ فأسلفه مائة درهم ؛ فلما خرج عطاؤه حوسب بها وأخذت منه .

مرض عمر ووفاته :

لم يسلم عمر من أذى الناس له رغم ما كان عليه من حب الخير لهم ، والتفانى فى مصالحهم ؛ فدبرت شرذمة منهم مكيدة له ، وأوعزت الى أشدهم جفاء لعمر ، وأغلظهم قلباً ، أن يدس السم له فى الطعام ؛ ففعل ، فما إن استقر فى جسمه حتى ثقلت حركته وفت فى عضده . فلما جاءه الطبيب وفحصه قال : قد سقى السم ، ولا آمن عليه الموت ! فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن الموت على من لم يسق السم أيضا !

ما كتبه الى يزيد بن عبد الملك :

وقبل أن تحضره الوفاة بأيام ، كتب الى يزيد بن عبد الملك ، وكان قد أوصى سليمان ابن عبد الملك اليه بالخلافة بعد عمر ، فقال له : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى يزيد ابن عبد الملك ، السلام عليك ، أما بعد فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، وإنى أكتب اليك وأنا دنف من وجعى ، وقد علمت أنى مسئول عما وليت يحاسبنى عليه مليك الدنيا والآخرة ، ولست أستطيع أن أخفى عليه من عملى شيئا ، يقول تعالى فيما يقول : « فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين » فان يرض عنى الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وإن سخط فياويح نفسى الى ما أصير ، أسأل الله الذى لا إله إلا هو أن يجيرنى من النار برحمته ، وأن يمن على برضوانه والجنة . وعليك يا يزيد بتقوى الله ، وإياك أن تدركك الصرعة عند الغرّة ، فلا تقال العثرة ؛ ولا تمكن من الرجعة يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به ؛ والرعية الرعية فانك لن تبقى بعدى إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير ، والسلام » .

وقبل أن يلفظ النفس الأخير من حياته سمعته زوجه فاطمة بنت عبد الملك يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار ! ووقتئذ خرجت فاطمة من عنده وجلست فى مكان قريب منه فاذا هو يقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » وصار يرددها حتى عادت لا تسمع له حسا ، فقالت لوصيف له يخدمه : ادخل عليه ، فلما دخل عليه وجده قد مات .

مدة خلافته وعمره ودفنه :

مدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وعمره ٣٩ سنة وأشهر ، وتوفى يوم الأربعاء بخناصرة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد ابن عبد الملك ، ودفن بدير سمعان .

تأبين الناس له بعد موته :

ما قاله عبد الملك بن عمير : رحمك الله يا أمير المؤمنين إن كنت لغضيض الطرف ، أمين الفرج ، جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل ، تغضب فى حين الغضب ، وترضى فى مواطن الرضا ، وما كنت مزاحا ولا عيابا ، ولا بهاتا ولا مغتابا .

بعض ما قيل نظما فى مدحه ورثائه ، قول جرير :

اليك رحلت ياعمر بن ليلى ... على ثقة أزورك واعتمادا
تعوّد صالح الأعمال إنى ... رأيت المرء يلزم ما استعادا
الى الفاروق ينتسب ابن ليلى ... ومروان الذى رفع العمادا
فما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأكرم منك ياعمر الجوادا

وقول كثير الخزاعى :

هو المرء لايبدى الأسى فى مصيبة ... ولا فرحا يوما إذا النفس سرت
قليل الألايا حافظ ليمينه ... وإن بدرت منه الألية برت

وقول الفرزدق :

كم من شريعة حق قد شرعت لهم ... كانت أميتت وأخرى عنك تنتظر
يالهف نفسى ولهف اللاهفين معى ... على العدول التى تغتالها الحفر !

تركته التى خلفها :

وحينما احتضر عمر قال لبنيه : لا تتهموا الخازن فإنى لا أدع غير واحد وعشرين دينارا ، فيها لأهل الدير أجر مساكنهم ، وثمن حقلة لهم . ثم كفن منها بخمسة دنانير ، واشترى له موضع قبره بدينارين ، وقسم الباقى على بنيه فخص كل واحد من ولده تسعة عشر درهما بعد أن أخذ أهل الدير ما كان لهم من أجر مسكن وثمن حقل ؟

محمد مصطفى شادى

في عالم الأدب العربي

نظرات فى الادب العربى

جاهليه وإسلاميه

— ٨ —

مواهب الشعراء

من الشعراء مَنْ يندفع فى شعره مع السَّجِيَّة ، التى ترسله إرسالا ، وتفيض به كما يفيض اليَنْبُوع بالماء ، دون أن يتعمل أو يُرَوِّى ؛ وهـذه الطريقة هى طريقة شعراء البادية ، ومن تأثرهم ، وانطبع بطابعهم من الشعراء .

ومنهم من لا يندفع مع السجية ، بل يصنع شعره صنعا ، فيروِّى فى معناه ، ويلائم بين أجزائه ، ثم يتخير له ألفاظه تخيرا ، وينتخبها انتخابا ؛ وهى طريقة الشعراء الفنانين ، فى الجاهلية والإسلام . ومن زعماء هـذه الطريقة زهير بن أبى سلمى فى حوليّاته ، وتلميذه الحطيئة ، ثم الفرزدق ، وصريع الغوانى ، وأبو تمام ، والمتنبى ، وأبو العلاء ، وغيرهم .

وكلتا الطريقتين لا بد من ارتكازها على الطبع ، واعتمادها على الموهبة الشعرية ، لأن الصناعة الخالصة وإن نالت الكمال ، لا تنتج شعرا بحال . وإنما الأمر فى الصناعة ، على ما سَنّ أبو تمام بقوله :

من اللائى أمدّ بهن طبعٌ وهذّبهن فكرٌ وانتقادُ

بيد أن الطريقة الأولى ، آثر عند النقاد ؛ لكثرة مائها ، وقوة رونقها ، وخفتها على السمع ، وملاءمتها للطبع ؛ على أن للأخرى محاسنها من تلاحم النسج ، وقوة الأسر ، وجرس الألفاظ ، وروعة الأسلوب ؛ وإنما أتيت من ناحية أن الطبيعة تأبى أن يكون الشىء ذو الأجزاء كاملا من جميع الوجوه ؛ ومن ناحية إضعاف الروح الشعرى الطبيعى بإثقاله بقيود المحسنات المعنوية واللفظية ، التى تبطئ به عن الإسراع الى النفوس ، وتعوقه ـ أحيانا ـ عن التغلغل الى مكامن الأسرار . ولذلك قال مروان بن أبى حفصة ، لعدى بن الرِّقاع : أما لو كنت مطبوعا ، ما أملت

ولا ساندت ، فاحتجت الى التقويم والتثقيف ، لما أنشد عدى عبد الملك بن مروان ، قصيدته الرائعة : عَرَفَ الديار توهّما فاعتادَها .

وقال فيها :

وقصيدة قد بتّ أجمعُ شملَها   حتى أقوِّمَ مَيْلَها وسنادَها
نَظَرَ المثقِّف فى كعوب قناته   حتى يقيم ثِقافه مُنآدَها

وأقرب من هذا الى الطبع قول شاعر البادية : ذى الرُّمة :

وشعر قد أرقت له غريبٍ   أُجَنِّبُهُ المُسَانِدَ والمُحالا
فبتّ أقيمُه ، وأَقُدُّ منه   قوافىَ لا أعدُّ لها مثالا
غرائب قد عُرِفنَ بكل أُفْق   من الآفاق ، تُفْتَعَلُ افتعالا (١)

وقول حكيم الشعراء :

بُناةُ الشعر ، ما اكفَوا رويّا   ولا عرفوا الإجازة والسنادا

لا جرم أنّ ملاك الشعر ، ما يحمله من الروح الذى يسرى فى هيكله سريان الماء فى العود ، والحياة فى الجسد ، ويقوَى هذا الروحُ ويطغى ، كلما اعتمد الشاعر على طبعه ، وجرى على سجيته ؛ وهذا الروح لا تحدده للناقد الألفاظ ، ولا تنهض به الأساليب ؛ وإنما هو كدليل « الاستحسان » عند الأصوليين : معنى ينقدح فى ذهن المجتهد تقصر عنه عبارته ؛ ومبلغ الألفاظ والأساليب ، أنها تقربه ، وتعين عليه ، بمقدار قربها من أساليب الشعر القديم ، وتأثرها بها ، وحظ صاحبها من الملكة التى تحصل من طول النظر ، وكثرة المحفوظ ، كما سبق فى أثناء هذه النظرات .

***

كان المغفور له أحمد شوقى بك من شعراء الطبع ؛ وكان المغفور له حافظ إبراهيم من شعراء الصنعة . فشوقى كان يجرى فى شعره على سليقته ، فيَغْنَى برونقه ومائه ومساوقته للنفوس ، عن التماس وسائل الترويج والتشويق ، وطول النظر والعرض والتغيير والتبديل ؛ وما رأيتُ ولا سمعتُ أنه أنشد شعره بنفسه فى حفل ، ولا أمامَ عظيم . أما حافظ ، فكان يروى فى شعره ، ويتئد فى نظمه ، ويعرضه على من يلتفون حوله من الشعراء والأدباء ، ويقبل نقاشهم ، ويمتحن ملاحظاتهم ، ويَقوِّم ويثقف ؛ وكان ينشد شعره بنفسه ، ولا يرضى أن ينشده حتى يحفظه أجود الحفظ ؛ ويختار الموقف الأخير فى كل حفل ، حتى ينفضّ الناس ، وقصيدته آخر ما علق بنفوسهم ، وتعلق بآذانهم ؛ على إجادة للإنشاد ؛ وتمثيل للمعانى وتصوير للأفكار ؛ وعلى الجملة : كان مستكملا لأدوات الصناعة من جميع الوجوه ؛ ولعل

(١) اى أرتجلها ارتجالا وأخلقها خلقا دون تقليد مثال

هـذا هو علة ما يقـال من أن شعر حافظ أكثر صلاحية للترجمة الى اللغات الأجنبية ، لأن الخيال الساذج يتبع الذوق الخاص الذى يستعصى على الـترجمة ؛ بخـلاف المعانى المحدودة ؛ وهو تأييد لقضيتنا .

وإذا كان هـذا الرأى لا يسلم لنا ، حتى نورد له مثالا يدعمه ، فاننا نعرض على القارئ الـكريم قصيدتين لشاعرينا العظيمين ، قيلتا فى موضوع واحد ، كان له خطره وجلاله ، وأنشدتا فى حفل واحد ، كان له هذا الخطر ، وذلك الجلال ؛ وهما مرثيتاهما ، فى الزعيم الجليل المغفور له سعـد باشا زغلول ، أغدق الله عليه وعليهما فيوض رحمته ورضوانه ؛ ولا نقصد بذلك الى الموازنة بينهما على وجهها ، إذ ينقصها اختلافهما وزنا وقافية ، وإنمـا نقتصر على قدر حاجتنا الى إثبات ماقلناه .

افتتح شوقى مرثيته بقوله :

شَيَّعوا الشمس ، ومالوا بضُحاها وانحنى الشرقُ عليها فبكاها

واختتمها بقوله :

ما دعاها الحـقُّ إلاَّ سارعَتْ ليتـه يوم « وصيف » ما دعاها !

وافتتح حافظ مرثيته بقوله :

إيهِ ياليل ، هـل شهدت المصابا : كيف ينصبُّ فى النفوس انصبابا ؟

واختتمها بقوله :

خفـتَ فينا مقامَ ربك حيـًا فتنـظَـر بجنتيه الثـوابا

وإذا كانت قدرة الشاعر تتجـلى فى مطلعه ومقطعه ، فأنا نشير فى إيجاز الى فرقٍ ما بين القولين ، وندع للقارئ الـكريم — بعد ذلك — الحـكم الأخير .

كُلٌ من مَطْلع شوقى ومقطعه كلامان ، لا يتكل صدرٌ منهما على عجز ، ولا يقوم عجز على صدر ؛ وكل من مطلع حافظ ومقطعه كلام واحد ، لا يكمل صدر بلا عجز ، ولا ينهض عجز بلا صدر . وشوقى أبان عن كُنْه المصيبة وأوضحها ، تمهيدا لأن يبنى عليها ما يشاء ، أما حافظ فقد أغفل هـذا الجانب ، ومضى يستشهد الليل . وشوقى جعل المصيبة مصيبة الشرق كله ، فالمشيِّعُ الشمس ، والباكى الشرق ، وقد نتوسع فنفهم أنه جعلها مصيبة العالم ، وإنمـا خصّ الشرق ، لأنه مشرقها ، أما حافظ فقـد جعل المصاب خاصا ، « وأل » فى « النفوس » وإن كانت للاستغراق ، إنمـا هى لاستغراق المصريين ؛ بدليل قوله بعد :

قـل لمن بات فى فلَسطين يبكى : إنَّ زلزالنا أجـلُّ مصابا

لما نعى شوقى الشمس ، استغنى عن التبليغ ، إذ غيبة الشمس لا تخفى على أحد ، وصح له بعد ذلك أن يقول :

جلَّل الصبحَ سوادا يومُها فكأنَّ الأرض لم تخلع دجاها
انظروا ، تلقَوا عليها شفقا من جراحات الضحايا ودماها
وتروا بين يديها عَبْرة من شهيد يقطرُ الوردَ شذاها
آذن الحقُّ ضحاياها بها وَيْحَه ! ! حتى الى الموتى نعاها

وحافظ لما أبهم فى المصاب وخصصه احتاج الى أن يقول :

بلغ المشرقين قبل انبلاج الصـ ـبح : أن الرئيس ولىّ وغابا
وانْعَ للنيرات سعدا ، فسعد كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قدّ ياليلُ من سوادك ثوبا للدرارى وللضحى جلبابا
انسج الحالكات منك نقابا واحبُ شمس النهار ذاك النقابا
قل لها : غاب كوكب الأرض فى الأر ض ، فغيبى عن السماء احتجابا
والبسينى عليه ثوب حداد واجلسى للعزاء فالحزن طابا

وهذه الأبيات أقرب الى أن تكون منشورا رسميا ، منها الى أن تكون رثاء شعريا ؛ ولا ريب أن الشاعرين فى هذا الموضع ، قد تباعدا بعد الزرقاء عن الخضراء ، لأن أحدهما يشعر فى الأرض ، والآخر يشعر فى السماء .

وقد ختم شوقى قصيدته ، كما افتتحها معمِّما ، مفخِّما ، شاعرا ؛ أمّا حافظ ، فقد ختمها كما ابتدأها مخصِّصا ، مُضَيِّقا ، فقيها .

***

وقد التقى الشاعران بعد ذلك فى وصف مشهد الزعيم ؛ فقال حافظ :

خرَجت أمةٌ تشَيِّع نعشا قد حوى أمَّة وبحرا عُبابا
حملوه على المدافع لما أعجز الهامَ حملُهُ والرقابا
حال لون الأصيل والدمع يجرى شفقا سائلا ، وصبحا مذابا
وسها النيل عن سُراه ذهولا حين ألفى الجموع تبكى انتحابا
ظنَّ (يا سعد) أن يرى مِهْرَجانا فرأى مأتما وحشدا عجابا
لم تسُق مثله فراعينُ مصرٍ يوم كانوا لأهلها أربابا

وقال شوقى :

ما درت مصرُ بدفن صُبِّحت أم على البعث أفاقت من كَراها

صرخت تحسبها بنت الشرى طلبت من مخلب الموت أباها
وكأن الناس لما نسلوا شعب السيل طغت فى ملتقاها

ومن فضول القول أن أبين ما بين القولين من فروق ، لا يخفى فهمها على أديب .
والتقيا كذلك فى وصف أثر المصاب فى الأمم الأخرى ؛ فقال حافظ :

ساقت « التيمس » العزاء إلينا وتوخت فى مدحك الإسهابا
لم ينح جازع عليك كما نا حت ، ولا أطنب المحب وحابى
واعتراف التاميز (يا سعد) مقيا س ، لما نال نيلنا وأصابا

وقال شوقى :

سائلوا « زحلة » عن أعراسها هل مشى الناعى عليها فمحاها ؟ (١)
عطل المصطاف من سماره وجلا عن ضفة الوادى دماها
فتح الأبواب ليلا ديرها وإلى الناقوس قامت بيعتاها
صدع البرق الدجى : تنشره أرض سوريا ، وتطويه سماها
يحمل الأنباء تسرى موهنا كموادى الثكل فى حر سراها
عرض الشك لها فاضطربت تطأ الآذان همسا والشفاها
قلت : يا قوم اجمعوا أحلامكم كل نفس فى وريديها رداها ! !

ولا إخالنى فى حاجة الى أن أقول : إن حافظا لم يخرج فى أبياته هذه عن رسمياته ؛ أما شوقى ، فقد صدر فى أبياته عن عاطفة جياشة ، وعن شعور دفاع ؛ ولا يخفى على القارىء الكريم دقة إشارته الى حادث الثقيفة ، واستغلاله فى قوله :

عرض الشك لها فاضطربت تطأ الآذان همسا والشفاها
قلت : ياقوم اجمعوا أحلامكم كل نفس فى وريديها رداها

ولا غرو ، فأى لماح فى بردتيه — كان —
هذا ، ولا أكتم القراء ، أنه لم يعجبنى فى هذا الموقف ، قول شوقى :

كفنوها حرة علوية كست الموت جلالا وكساها
مصر فى أكفانها إلا الهدى لحمة الأكفان حق وسداها

فان هذا أشبه بالحديث عن غير الرجال .

* * *

رحم الله الشاعرين ، أوفى الرحمات ، وأجزل جزاءهما الخير على ما أسديا الى اللغة والأدب والوطن من مآثر خالدة ؛ وعوض مصر خاصة والشرق عامة عن فقدهما خير العوض ؟

عبد الجواد رمضان

(١) لم أعثر لزحلة على ضبط فى اللسان والقاموس

كلمات فى الأخلاق

سفور المرأة

من الناحية الاجتماعية

حينما دارت رحى هـذه الحرب ، وخاف النـاس فى مشارق الأرض ومغاربها ما عسى أن تنتهى إليه من الخراب والدمار ، أدركوا قيمة الخلق القويم ، فى مناعة سلطانهم ، ومتانة بنيانهم ، فأخذوا يتنبهون الى انحطاطهم الخلقى ، محاولين إصلاحهم جهد ما يستطيعون ، والناس لا يحسبون للمستقبل حسابه ، ولا تأخذ الحوادث من تفكيرهم ، أو تعمل الخطوب فى شعورهم ، إلا حين يصطدمون ، فيعلموا مقدار خطئهم ، وعاقبة تفريطهم . والمصريون كغيرهم حاولوا فى العهد الأخـير أن يأخذوا بنصيبهم من الإصـلاح الاجتماعى ، فاهتموا بالمرأة ، وشرعوا ينظرون فيما عسى أن يكون سببا فى تأخرها المزرى ، الذى وصل بها الى حـد أن صارت لا تصلح للأمومة ولا غيرها من شئون الحياة . وقد أدرك المفـكرون أن علة العلل فى ذلك تبرجها ، وخروجها عن نطاق الأنوثة الذى حـددته لها الطبيعة . وهذا التبرج عادة أجنبية ، انحدرت إلينا من بلاد الغرب ، وأخذت تتطور وتظهر بمظاهر شتى ، ثم جاءت الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وجرفت بطوفانها الناس ، رجالا ونساء ، شيبا وشبانا ، وفى مثل هذه الظروف الاجتماعية العصيبة قد تسقط الـكلفة ، ويتسامح فى التصون ، فرأينا المرأة الى جانب الرجل ، والفتاة الى جانب الفتى ، وبذلك تحققت دعـوة أنصار اختلاط الجنسين ، ثم ظلت تأخذ فى الازدياد ، حين جمعت دور التعليم العالى بين البنين والبنات .

ولقد كانت المرأة قبل هذه الثورة ، لا تعرف من الحياة إلا أنها أنثى ، ولا تفقه من العلم إلا أنه تنظيم لتلك الأنوثة ، فى حدود العفاف والإباء ، والدين والأخلاق ، ولـكن سفورها واختلاطها أصاباها بجميع ما يولدانه من تطرفات ، فسمعنا صيحات بوجوب اشتغال المرأة بأعمال لا وقت الضرورات فحسب ، ولـكن باعتبار أن ذلك من مقتضيات الحياة العصرية . وهنا أناخت بكلـكلها عليها جميع النظريات التى تخرج المرأة من حدودها الطبيعية وتجعلها كما قال الأستاذ (جيوم فريرو) جنسا ثالثا . والتدهور كالترقى يتـداعى بعضه الى بعض ، حتى أصبحنا حيال حالة شاذة تتحرك لها الحـكومة وتتحفز للعمل على وقف تيارها . فقـد قرأنا فى أهرام (١٦ أكتوبر) أن بعض الدوائر الحـكومية تفـكر فى معالجة حالة تهتك النساء التى وصلت الى حالة لا يحسن السكوت عليها . وهكذا بالغت المـرأة فى الاستسلام للفتنة ، وأغرق الرجل فى تحملها حتى أصبحت من تهورها كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

وقد آلت هذه الحال السيئة الى زهد الرجل فى المرأة ، وإساءته الظن بها ، وأصبح يراها كما صرحت له به بعض الأقاصيص إبليسا فى ثوب إنسان ، فانصرفا معا عن بناء المنزل ، وتكوين الأسرة ، ثم أبيا بعد ذلك إلا أن يتناقشا « الحساب » على رءوس الإشهاد ، تقول له أنت . . ويقول لها أنت . وحفلت قاعات المحاضرات بهذا الجدل الصاخب ، وفى هذا دليل من كليهما على أنهما فى حاجة الى البيت ، مهما حاولا أن يفرا منه ، وأنهما لا يرضيان بالزواج بديلا مهما أشاحا بوجهيهما عنه .

وبعد ، فيأيتها المرأة المسلمة : إن الدين الإسلامى حين أراد أن يؤدبك بأدب القرآن : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ، لم يرد بذلك إلا خيرا يرجع إليك ، ومنفعة تعود عليك ، فهل تفطنت الآن الى أنك رخصة فى نظر الرجل ، إذ تبذلت له ، وزهد فيك حين صارت نواحى الأرض مملوءة بك ! !

ابراهيم على أبو الخشب

تقدير العلماء

كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيها شاعرا ، وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة ، قال عنه الزهرى ، وناهيك بالزهرى : كنت إذا لقيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود فكأنما أفجر به بحرا .

وقال عمر بن عبد العزيز ، ومن هو : « وددت لو أن لى مجلسا من عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود لم يفتنى .

ولقيه سعيد بن المسيب ، وهو أحد الفقهاء السبعة المعدودين بالمدينة فى عصر التابعين ، فقال له : أنت الفقيه الشاعر . فقال له : لا بد للمصدور أن ينفث .

وقد بلغ عبد الله بن عبيد الله عن عمر بن عبد العزيز شيئا يكرهه فكتب إليه :

أبا حفص أتانى عنك قول ... قطعت به وضاق به جوابى
أبا حفص فلا أدرى أرغمى ... تريد بما تحاول أم عتابى
فإن تك عاتبا نعتب وإلا ... فما عودى إذن بيراع غاب
وقد فارقت أعظم منك رزأ ... وواريت الأحبة فى التراب
وقد عزوا علىَّ وأسلمونى ... معا فلبست بعدهمو ثيابى

وقد أثر عن كبار العلماء فى كل عصر أنهم كانوا مخصوصين بالإعزاز والتبجيل فى كل عصر من الكبراء والكافة ، فإن آنسوا غلبة الهوى على الناس فى زمان ، وخشوا أن يهان العلم فى أشخاصهم ، اعتزلوا الناس ما استطاعوا ، ووسعتهم بيوتهم ، لا تكبرا منهم ، ولكن صيانة لكراماتهم .

العيـــــد

لا يتهم بالغلو من يقول إن الاسـلام دين اجتماعى جعـل سعادة الجماعة أساس ما شرع من أحكام .

ففرض الصلاة ليـكون من المسلمين جماعة راقية مهذبة متحابة ، تعاف الشرور وتجتنب الآثام : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . وفرض الزكاة لتصل بين أغنياء الجماعة وفقرائها بحبل متين من المودة ، وتنزع ما فى صدور هؤلاء من غـل وحسد ، وترفه عليهم شدائد العيش وكرب الحياة . وشرع الحج كمؤتمر للجماعة الاسلامية تستعرض فيه آلامها وآمالها ، وتقلب وجـوه الرأى فى علاج الأولى وتحقيق الثانية ، وتتبادل الثقافة والتجارة : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » . وندبها الى الجهاد لتدفع عنها أذى أعدائها وأطماعهم ، وتعيش فى سلام وطمأنينة ، وتستمتع بحرياتها ، وتستقل بخيراتها ، وتنهض فى ظله حركاتها الدينية والعلمية والاجتماعية .

هذا ولا يخفى وجه المصلحة للجماعة فى كثير مما شرع غير ذلك . وهل يخفى وجه المصلحة فيما شرعه الاسلام من نظام الأسرة ، وعلاقة الآباء بأبنائهم ، وعلاقة هؤلاء بأولئك ، وعلاقات المؤمنين بعضهم ببعض ؛ ووجه المصلحة فى الجمعة والجماعة ، وتحية الاسلام ، وكف الأذى عن الطريق ، ونشدان الضالة ، وشهود الجنازة ، وعيادة المريض ، والرفق باليتيم ، وإحسان القيام عليه وتثمير ماله ، وحقوق الجوار ، وحقوق الصحبة ، الى غـير ذلك مما لا يخفى فيه وجه المصلحة ، ولا ينكره إلا كل معاند كفور ؟

ولعل من أظهر ما يبدو فيه وجه المصلحة للجماعة ، يوم العيد . ذلك أن العيد يوم يجتمع المسلمون فيه على صلاة خاصة به ، يعقبها خطبة جامعة ، ينبه المسلمون فيها الى ما فيه خـيرهم وسعادتهم ، فيذكرون بزكاة الفطر ومصارفها (فى خطبة عيد الفطر) ، وبوجوب الأضحية وكيفية الانتفاع بها (فى خطبة عيد الأضحى) .

وهو يوم ندب المسلمون فيه الى الغسل والتجمل ، وإظهار الفرح والبشاشة ، والإكثار من الصدقات ، لتسل بذلك سخائم الفقراء وتصفو نفوسهم ، ويكونوا هم والأغنياء جماعة واحدة ويدا واحـدة كما أرادهم الاسلام . ومن طريف ما شرع فى ذلك اليوم النهى عن حمل السلاح حتى لا ينزغ الشيطان بين المسلمين فيكدر صفوهم وينغص يومهم . هـذا الى أن اجتماع المسلمين فى ذلك اليوم فرصة صالحة يستطيع أن يستغلها المصلحون والقادة فى توجيه الجماعة الاسلامية واستعراض شئونها ومعالجة أدوائها ، كما كان يفعل القائد الأعظم ، نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد صح عنه أنه كان يصلى ثم ينصرف للخطبة فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم

فيعظهم ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثا (جماعة للغزو) قطعه ، أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف ، وصح عنه أنه كان يخطب ثم يقبل على النساء فيعظهن ويذكرهن بالصدقة ، فكن يتنافسن فى هذا الفضل فيلقين بحليهن فى ثوب بلال استجابة لدعوته عليه السلام .

وهكذا كان عليه السلام القائد الحكيم والزعيم المنصف ، لا يؤثر الرجال بفضل ، بل كان للنساء من عدله نصيب ، ومن فضله نصيب ، فكان فضله عاما وعطفه شاملا ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

ذلك سر تشريع العيد ، وتلك ثمرته . وقد سعدت الجماعة الاسلامية بهذه الثمرة ، وبثمرات التشريع عامة حين أخذت أنفسها به ، ووقفت عند حدوده . فكانت المثل الأعلى للجماعات ، جماعة يسودها العدل والإنصاف ، والتعاون والتناصر ، والعز والسلام ، فضربت بسيرها الأمثال .

تلك حال المسلمين فيما سبق ، يجتمعون يوم العيد على خيرهم وصلاحهم ، يؤدون حقوق الله وحقوق إخوانهم وأنفسهم ، يصلون ويتصدقون ويتعاطفون .

فما حال مسلمى اليوم ؟ وعلام يجتمعون ؟ وكيف يستقبلون أعيادهم ؟ وماذا يفعلون ؟ يالله المسلمين ! ! إنهم يجتمعون على المنكرات يخوضون فيها ويكرعون منها ، لا يخشون الله ولا يخافون الناس . ينتهكون الحرمات ، ويتعاطون المسكرات ، ويقامرون ويتراهنون ، يهجرون المساجد والمنازل الى مباءات اللهو والدعارة ، ويتخذون من قبور الموتى أندية خلاعة وفجور . يقطعون أرحامهم ، ويأكلون حقوق الفقراء فى الزكاة ، ويسرفون على أنفسهم فى النفقات ، همّ كل فرد منهم أن يرضى نفسه وأولاده بما يباح ويحرم ، أما أقاربه وإخوانه فى الدين فأولئك لا يشغله شأنهم ولا يعنيه أمرهم .

ذلك شأن المسلمين اليوم فى أعيادهم ، وهو شأنهم فى جميع أمرهم . جماعة مستهترة متخاذلة متنافرة كالثوب المرقوع ، لا بهاء ولا قوة ، حقرها الأعداء وتلقفوها تلقف الكرة بالصوالجة ، واستاموها فى سوق السياسة سوم الأنعام ، وتراضوا بها كما يتراضون بالمتاع ، لا يراعى لها شعور ولا كرامة ، لا تستشار إذا حضرت ، ولا تفتقد إذا غابت . هانت على المسلمين أنفسهم فهانوا على الناس .

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » .

أسأل الله أن يهب المسلمين نفحة من رضاه تكشف كربهم وتصلح حالهم ، وتهديهم الى الصراط المستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا الى الله تصير الأمور .

أبو الوفا المراغى

كتاب اخوان الصفاء

دائرة معارف فلسفية فى القرن الرابع الهجرى

كان للحركة الدينية التى بعثها الاسلام فى العالم القديم أن اختلطت أمم كثيرة، وائتلفت شعوب شتى، وعَرَف بعضها بعضا، وكانت بينهم بجانب الصلات السياسية التى أحدثها الفتح والدين، صلات ذهنية، فكانت الترجمة عن الفارسية والهندية والسريانية واليونانية. وتأثرت بهذا حياة المسلمين العقلية، حتى ظهرت آثارها فى فلسفتهم وعلومهم وآدابهم.

وقد استطاع العقل الاسلامى أن يستفيد من هذه العلوم الجديدة الى حد بعيد، فلم ينقض القرن الثانى حتى كانت عاصمة الدولة الاسلامية بغداد مباءة للعلم والفلسفة، بما وفق اليه الخلفاء من أول عهد المنصور من تنشيط حركة نقل العلوم الى العربية، حتى التى كان لا يسمح بتداولها فى العالم المسيحى إذ ذاك، ولكن لم يجئ القرن الرابع حتى كانت أداة الحكم فى الدولة الاسلامية قد أصيبت باختلال عظيم.

ورسائل إخوان الصفاء كتاب يمثل فساد الحياة السياسية فى ذلك القرن. والذين كتبوه نشأوا فى البصرة، وكانوا يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الاسلامى فى ذلك الوقت، ورأوا أن يتوسلوا الى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين.

ولا شك فى أن الدراسات الفلسفية ذات دخل كبير فى تحويل وجهات النظر، ولها أثر يعتد به فى قلب النظم السياسية فى الشعوب. ولا سبيل الى النهوض بالمستوى السياسى الى أقصى حدوده إلا إذا توفرت البحوث الفلسفية السهلة التى تؤثر فى عقلية الدهماء، والدراسات المعوصة الدقيقة التى يفتتن بها الخاصة ويتأثرون بها الى أبعد الحدود.

رسائل إخوان الصفاء أشبه شئ بدائرة معارف فلسفية علمية. وقد بدأ مؤلفوها هذه الرسائل بقولهم:

« إن الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية. وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ».

تتألف دائرة معارف إخوان الصفاء من إحدى وخمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة علميا وعمليا. وهى تتلخص فى مبادئ الموجودات وأصول الكائنات، ثم الهيولى والصورة، فماهية الطبيعة، فالأرض والسماء، ثم الكون والفساد، ثم شرح لعلم النجوم، ثم تكوين

المعادن ، ثم علم النبات ، ثم أوصاف الحيوان ، ثم مسقط النطفة وكيفية اتصال النفس بها ، ثم تركيب الجسد ، ثم الحاس والمحسوس ، ثم العقل والمعقول ، ثم الصنائع العملية ، ثم الصنائع العلمية ، ثم العدد وخواصه ، ثم الموسيقى ، ثم علم النسب العددية والهندسية ، ثم المنطقيات ، ثم الكلام على البعث والنشور ، ثم الكلام عن أجناس الحركات والعلل والمعلولات ، والحدود والرسوم .

فهذه الدائرة الغنية بالعلم القديم ، تبدأ بالنظر فى الرياضيات والأعداد والحروف ، وبعد ذلك تنتقل الى المنطق والطبيعيات ، فترد كل شئ الى النفس ومالها من قوى على الجسم البشرى ، وتنتهى أخيرا الى الاقتراب من معرفة الله عن طريق التصوف الإلهى .

جاء فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء نقلا عن القاضى صاعد فى ترجمة الطبيب « أبى الحكم الكرمانى القرطبى » : أن هذا الرجل رحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة ، ثم رجع الى الأندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها ، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفاء .

ومن الطبيعى أنه لولا ما امتازت به هذه الرسائل من الخصوبة العلمية ، والمكانة الفلسفية ، وما أفادت به البشرية من تمثيل النفس بصورة وضاءة خليقة بالإعجاب ، ما استطاعت أن تنفذ الى بلاد الأندلس على يد القرطبى بهذه السهولة ، وخاصة فى هذا الوقت المضطرب الذى ظهرت فيه .

وعن هذه الرسائل كتب المستشرق الفرنسى « سلفستر دى ساسى » ملخصا عنها باللغة الفرنسية عام ١٨٣٧ . ولما وضع العالم ديتريصر المستشرق الألمانى كتابه « العلوم الفلسفية عند العرب فى القرن العاشر الميلادى » (الرابع الهجرى) اعتمد فى كتابه على رسائل إخوان الصفاء ، (تراجع مذكرة المرحوم أحمد زكى باشا فى مقدمة إخوان الصفاء) . ويقول المؤرخ الفرنسى إميل بريهيه فى كتابه عن تاريخ الفلسفة فى القرون الوسطى : إن رسائل إخوان الصفاء كان لها أثر عميق فى توجيه الحركة الفلسفية إذ ذاك ، وفى توثيق الصلة بين الشرق والغرب . وإن كتاب هذه الرسائل ينقسم الى أجزاء أربعة : أولها فيثاغورى وأفلاطونى ، وثانيها أرستطاليسى الصبغة ، وثالثها خليط فى الفلسفات اليونانية الثلاثة الفيثاغورسية والأفلاطونية والأرسطونية ، ورابعها يتناول الإلهيات وما يتصل بالديانات والشرائع والتصوف ، وهو المزاج الذى التأمت فيه العناصر المؤثرة فى الفلسفة الاسلامية .

وقال : إن الكتاب كله يدور حول الجهاد الذى قام به العقل البشرى ليجد قاعدة وطيدة للتفاهم مع الدين . وختم بحثه فى الرسائل بقوله : « إن الحضارة الاسلامية قامت على العلم والدين ، وإن الحضارة الحديثة إذا أرادت أن تستقر فلا يمكن أن تستقر على العلم وحده ، أو العقل وحده ، وإنما لا بد من ارتكازها على عنصرى الدين والعلم كما استقرت الحضارة

الإسلامية من قبل ، وكما شيدت بهذا القول رسائل إخوان الصفاء فى دائرة معارفها الجليلة التى لا تزال محترمة بين العلماء الى اليوم » .

يخيل للمطلع على هـذه الرسائل أن واضعيها من أقدر رجال القرن الرابع الهجرى إلهاما وإثارة للتفكير الحر ، وأقربهم الى روح العصر ، وأشدهم عناية بمشاكل الإنسانية الحقيقية ، وأحرصهم على أن يكون فكرهم حيا يفيض بماء الحياة خصبا ، يقدر على النمو من بعـدهم جريئا ، يهاجم المشكلات ويبدد ما قدس من الأوهام . وبهذا استطاعت هذه المجموعة من الرسائل أن تملى على المجتمع الإسلامى شعورا حيا بالنزوع الى تطور عقلى جديد لما امتازت به من إشراق الفكر ، واستقامة الملاحظة ، وسعة الأفق .

ولما كانت قيمة العمل العلمى تقاس بقيمة الأثر الذى يحدثه فلا مشاحة فى أنه كان لرسائل إخوان الصفاء أثر كبير فى عقلية المسلمين . فكان الجانب الصوفى فى هـذه الرسائل قويا على روح الجماعات الإسلامية فى القرن الرابع ، وما تعاقب وراءه من القرون ، لأن هذا الجانب كان يحارب نزغات النفس ، ويحبب الى القلوب التقوى والصلاح بما يشبه الكلمات التالية :

النفس البشرية قائمة مكفهرة ، تعصف بها الغرائز ، وتعبث بها الميول ، وتتعاقب عليها العواطف ، وتمتزج بها ظواهر العقل الواعى بالعقل الباطن ، وتعيش فى جو خانق من الضباب الكثيف ، ولهذا لا يمكن علاج النفس إلا بتطهيرها من شهواتها ، وذلك باتباع ما أمر به الدين لتكمل للنفس السعادة ، ويكون لها النصيب الأوفى يوم الجزاء . ؟

عبد الحميد سامى بيومى

مجالس العلماء

قال الفضيل بن عياض : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فى مسجد بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع لمن كان عنده : كنا نقول ما هو إلا عفو الله أو النار .

وقال مالك بن دينار فى ذلك المجلس أيضا : إنه ليعجبنى أن تكون للإنسان معيشة قدر ما يقوته . فقال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول : وليس يعجبنى أن يصبح الرجل وليس له غذاء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل .

فالتفت إليه مالك بن دينار وقال : ما أحوجنى الى أن يعظنى مثلك !

انظر بما قابل مالك بن دينار ملاحظات صاحبه محمد بن واسع من التقدير والإعجاب والشكر. ... أن يحدث هـذا بين صديقين عالمين فى عهود الانحطاط . وانظر ما تسمع من ضروب ...الات والتأويلات لإثبات الملاحظ عليه تنزهه عن الخطأ ، وقد ينتهى الحوار بخصومة

اثبات الروح الانسانية حسيا

أدلة جديدة قائمة على مقتضى الدستور العلمى

يتبادر لذهن القارئ أننا تحت هذا العنوان سنورد ما يقوله جمهرة من علماء أوربا منذ أكثر من تسعين سنة، بإمكان الاتصال بما وراء الطبيعة وأرواح الموتى، وأننا سنأتى على تجاربهم فى هـذا الباب . ولـكننا رأينا أن نسلك لإثبات الروح سبيلا مباشرا، أى وهى لا تزال فى الجسم الانسانى فى حالة الحياة . فإذا كان الطريق الأول غير المباشر يمكن التمارى فى نتائجه، بعزو الـكائنات التى تتصل بالمجربين الى عالم الجن أو عالم آخر مجرد عن المادة، فهذا الطريق المباشر لا يستطاع التردد فيه .

إن الباحثين فى المسائل النفسية فى أوربا وأمريكا من رجال العلم والفلاسفة، لم يقصروا منذ أن اكتشف الدكتور (مِسْمِير) الألمانى فى سنة (١٧٧٠) التنويم المغناطيسى، فى البحث عن الظواهر النفسية المختلفة، والحياة الباطنية، بقصد التوسع فى معرفة خصائص الروح وضبط علائقها . وقد وصلوا بواسطة هـذا التنويم الصناعى الى مدى بعيد من قواها الـكامنة فيها التى تخفيها حياتها العادية، ويكشفها ما يقع الانسان فيه من ذهول أو إغماء أو غيبوبة مرضية، أو تحت تأثير الـكلوروفورم فى الأعمال الجراحية . ضبط هؤلاء العلماء الباحثون كل هذه الحالات، فثبت لهم بالدلائل القاطعة ثلاثة أمور :

(أولها) أن فى الجسم الانسانى روحا من طبيعة علوية .

(ثانيها) أن هذه الروح مستقلة عنه، تحل فيه ساعة ميلاده، وتغادره عند موته لتعيش فى العالم الروحانى مع أمثالها من الأرواح المجردة .

(ثالثها) أن الروح وإن كانت أمرا إلهيا لا يدرك لهـا كنه، إلا أن لها جسدا أثيريا على صورة صاحبها، غاية فى اللطافة، لا يعتريه البِلى ولا التحلل، فى قدرتها أن تستعير له مادة من الخارج، وأن تظهر بصورة صاحبها فى أحوال خاصة، ويكون صاحبها إذ ذاك واقعا فى غيبوبة .

هذه الأمور الثلاثة من الخطورة بمكان . وقد أتت بها الأديان قاطبة منذ أقدم الأزمان، وخطورتها تأتى من أن ثبوتها بعد أن دحضها العلم الطبيعى، وأثار عليها حملات منكرة، يُحدث انقلابا أدبيا فى جميع نواحى الشخصية الانسانية لا تقف آثاره عند حد . فان الدعوة الى السمو الأدبى لا تصادف هوى من العقول والقلوب إلا إذا كان المدعوون يعتقدون ببقائهم بعد الموت، وبترتُّب حالتهم فى الحياة الآخرة على حالتهم الأدبية فى هذه الحياة ؛ فإن زالت هذه العقيدة

فلا يعقل أن يكون للأوامر والنواهى الأدبية ، أقل تأثير فى العقول ، وتصبح الدعوة الى السمو الأدبى فضولا إلا إذا قصد منها ما يعود من فوائدها على هذه الحياة .

إذا وضعنا السمو الأدبى جانبا باعتبار أنه مقصور على أفراد معدودين من كل أمة ، وقصدنا الأخلاق الأولية الضرورية لحياة كل مجتمع ، والتى قررت كل فلسفة فى الأرض حتى الالحادية منها أنها الِمساك المعنوى لكل جماعة تود أن تأخذ نصيبها من الحياة العالمية ، رأينا أنها لا تستقر فى أمة لا نصيب لآحادها من هذه العقيدة .

أجل ، إن الأمة التى لا تحرم السرقة والغش والتطفيف والخداع والتزوير واليمين الغموس الخ لا يعقل أن تأمن على وجودها من التحلل ، وماذا تأخذ من جماعة مؤلفة من أفراد متناهبين متخادعين كاذبين نمامين لحاشين الخ ، غير مجموعة من أشلاء غير مترابطة لا يمكن أن تسمى أمة إلا تسامحا . فاذا جد الجد لم تجد رأيا موحدا ، ولا شعورا مؤتلفا ، ولا تكافلا موطدا .

قد يقولون إن التربية المنزلية إذا كانت قوية ، وتلتها تربية مدرسية قوية ، نشأت النابتة قوية الأخلاق ، كاملة الانسانية ، لا تتعلق بسفاسف الأمور ، ولا تشتغل بما يوهن قوتها الاجتماعية ، ويوهى رابطتها القومية ؛ ويضربون لنا الأمثال على صحة هذه الأقوال بالأمم القائمة ، مدعين أنها أمم لا دينية . وهم يعتمدون فى تقريرهم لا دينيتها على أفراد من كل منها نالوا حظا من تربية فلسفية عالية ، ونظروا فى أديانهم نظرات انتقادية ؛ ومنهم من أعلنوا عداءهم للعقائد كافة ، وجهروا بنكرانهم لكل وجود غير مادى .

والحقيقة أن هؤلاء الأفراد يعدون على الأصابع ، ومن دونهم عدة مئات أو عدة ألوف يحومون حول مذاهبهم ويتأثرون بها ، ولكن السواد الأعظم من الأمة لا يطلع على كتاباتهم ولا يأبه لها ، وهم جارون من عقائدهم على سجيتهم التى ورثوها منذ قرون كثيرة . وبهذه البقية من العقيدة يعيشون تحت ضوء مَثَل أعلى من الأخلاق والآداب . فاذا نجحت المادية فى نشر الالحاد بينهم انقلب هؤلاء الى وحوش ضارية لا يرد عادية بعضها عن بعضها الآخر شىء .

إذا أراد المعترض أن يدرك بدليل محسوس مكان العقائد من روابط الاجتماع ، ومحلها من قواها المعنوية ، فليذكر أن أية جماعة من الجماعات التى قامت على الأرض من أول تآلف الجماعات الى يومنا هذا ، لم تخل من دين قط . فاذا نظرت الى هذا المظهر من مظاهر الاجتماع ، ولو من وجهة مادية باحتة ، قلت لا بد من أن يكون الدين حاجة من حاجات الاجتماع ، وإلا لما كانت هناك حاجة الى أن يكون عاما على هذا النحو ، وقائما — على شدة تخالف الأديان والمذاهب — على أصول عامة مشتركة بينها ، هى : أن للوجود خالقا ، وأن للانسان روحا مستمدة منه ، وأن لهذه الروح بقاء بعد الموت تحاسب فيه على ما اكتسبت وتجزاه جزاء وفاقا .

إذا فكر الناظر فى هذا الأمر على هذا النحو انكشف له سر اجتماعى عظيم الشأن ، وسر فلسفى لا يقل عنه خطورة .

أما الأول فهو أن الاجتماع بحاجة الى قوة أدبية ترفع نفسية الجماعة على وجه الاستمرار الى مُثُل عليا ، تتفق وكرامة الانسانية ، على سنة التدريج ، حتى تصل بها الى مكانة علية . وذلك خشية أن تنحصر روابط الاجتماع فى الحاجات المادية ، فتنقلب الجماعة الى مِنْسَر كبير لا هم له إلا سلب الأمم ، وتدويخ الشعوب ، وإهلاك الحرث والنسل ، وهى حال وحشية لا تلائم الوجود الانسانى ، وتبدو عدم ملاءمته له فى أن كل جماعة كبيرة انقلبت بحكم فساد قلوب أفرادها الى منسر ، ليس لديه ما يُقتبس منه من القوى الأدبية ، هلك فى سنين معدودة . والأمثلة فى التاريخ لا تحصى . والفضل فى بقاء الفتوحات الاسلامية وشيوع آثارها ، أن المسلمين آتوا البلاد التى افتتحوها مثلا عليا ، وذخرا أدبيا قيما لا يزال يؤتى بثمراته فيها الى اليوم .

وأما السر الفلسفى فهو : أن الحياة الانسانية لا تكفيها الأغذية المادية مهما بلغت من الدسومة والتنوع ، فلا بد معها من الأغذية الروحية . فهى ليست مجردة من التفكير كالنحل والنمل وغيرها فتُطبع على الاجتماع طبعا ، ولكنها فى حاجة الى ما يقيم أودها النفسى من الأصول الأدبية ، وأين هى إذا لم تستمد من دين تستقيم عليه ، ويتطور معها حافظا لسموه الروحانى ، كلما خطت خطوة فى طريق التطور العلمى .

إن أخص ما تحتاج إليه الطبيعة الانسانية من المدد الروحانى ، عقيدة راسخة فى البقاء بعد الموت ، لأن البقاء أحب شىء الى الانسان ، والفناء أكره شىء إليه ، فاذا لم يجد دليلا له على صحة هذه العقيدة زادت همومه الدنيوية ، وشغله من المحافظة على نفسه من الموت شاغل يسرع به الى الهاوية لشدة ما يدفعه الهلع إليه من الاضطرابات العصبية .

كانت العقيدة فى الحياة الآخرة تكاد تكون عامة بين جميع البشر ، لذلك لازمت الدين فى جميع أدوارها ، ولكن بعد أن قامت دولة العلم ، وحرص أشياعه على اجتثاث جذور الأديان من قلوب البشر ، بحجة أنها تحول بينهم وبين الترقى ، ضعف سلطان الدين على العقول ولم يعد لدعوته التأثير الذى كان له فى القلوب ، بل عاداه الناس جهارا ، وصرحوا بأنه لا بقاء له إلا ببقاء الأمية والعامية ، واعتبروا دعاته والقائمين عليه عالة على المجتمع يتناولون حصتهم من ثمرات كده بفضل تلك البقية من الجهل فى الطبقة السفلى من آحاده .

هنا قد تثور ثائرة أشياع الفلسفة المادية ، ويوجهون الىّ تثريبا شديدا على قولى بأن الدعوة الى السمو الأدبى لا تثمر فى الجماعات إلا بوجود عقيدة الخلود ، ويقررون بأن الشخصية الخالصة من الأوهام ، المستنيرة بمقررات العلم ، تنساق من ذاتها وراء المثل العليا للأخلاق ، وتصبح فاضلة باسم أداء الواجب ، لا طمعا فى ثواب ، ولا هربا من عقاب .

نقول : إذا سلمنا بحدوث السمو الخلقى لبعض الآحاد من غير طريق العقيدة فى الخلود ، فلا نستطيع ، كما قدمنا ، أن نسلم بأن هذا السمو قد يعم مئات الملايين فى جميع المجتمعات ، لأنه لا يعقل أن شخصياتهم جميعا تخلص من الأوهام ، وتستنير بمقررات العلم .

وأنا مما أسوقه تدعيما لما أذهب اليه ، أن الجماعات الانسانية الأولى كانت لا تفترق عن الحيوانات فى وحشيتها إلا قليلا ، وما كانت تعرف للتقيد بالواجبات ، ولا للخضوع لحكم العواطف معنى ، فما زالت فطرتها الدينية تلطف من تعجرفها ، ويهذب من تغشمرها ، حتى قبلت التقيد بالقيود الأدبية ، وخضعت لأحكام العواطف القلبيـة ، وما انفكت تجرى على هـذه السنة حتى بلغت درجات عالية من الحضارة .

فإذا هُدم هذا الأساس الذى قام عليه هذا الترقى الأدبى ، وسرى الى الجماعات التى لا تزال فى حاجة إليه ، فعلى أى أساس يقوم هذا الترقى بعده ؟ ألا يخشى عليها أن تتدهور فيما حصَّلت من آثاره ، وأن تنتهى الى حالة من الانحلال الخلقى لا يمكن البقاء عليها ، وقد ظهرت بوادر هذا التدهور فيها ، وشكا منه حتى الذين يقولون بمذهب المادية الباحتة ؟

لنسلِّم بأن الحياة الاجتماعية يمكن أن تقوم ، وأن الأخلاق يمكن أن تتقوَّم بدون الاعتقاد ببقاء النفس بعد الموت ، فهل تبسم الحياة لشخصية تعتقد أنها صائرة الى الانحلال ، وأنها لا تدرى متى تُدعى الى الفناء ، والمنايا كما قال الشاعر الجاهلى زُهـير تخبط خبط عشواء ، من تُصب تُـمته فى ميعة الصبا ، ومن تخطئ يعمر فيهرم ؟ فإذا ذَكرهذا الهرِم الموتَ قال كما قال الفيلسوف (رافيسون) (١) الفرنسى : « لقد بلغت الثمانين وكلما ذكرت الموت اعترانى ذعر شديد » ، فلو كان غير فيلسوف قالها لقيل هذه شخصية غير خالصة من الأوهام ، ولا مستنيرة بمقررات العلم !

إن إثبات وجود الروح الإنسانية بوسائل العلم الحديث ، وعلى موجب دستوره القيم ، من الضرورات التى أصبحت واجبة التقديم على غيرها .

(أولا) لأنها أساس كل دعوة خلقية وأدبية توجه للآحاد ، فإن من لا يرى لنفسه بقاء بعد الموت ، لا يرى أن يتقيد بقيد أدبى يصده عن شهواته ، ويرده عن غواياته .

(ثانيا) لأن الواجب يقضى علينا أن نذيع ما هُدى اليه العـلم من الأدلة الحسية على وجودها ، فإن فى كتمانها تبعة ، لا سيما ونحن فى زمان النـاسُ أحوج ما يكونون فيـه الى الشكائم الأدبيـة ، ولا يصلح من الشكائم إلا ما قام على أساس عقيدة ثابتة فى المسئولية الشخصية ، والتبعة الأدبية .

(١) رافيسون فيلسوف فرنسى وأثرى مشهور ولد سنة ١٨١٣ وتوفى سنة ١٩٠٠ .

لقد وصل العلم الأوروبى من هذه الناحية الى مناطق لا يتخيلها الناس تخيلا ، أصبحت معها مسألة إثبات الروح والخلود مسالة مادية بحتة لقيامها على الحس والمشاهدة .

وقد رأينا أن أحسن كتاب جمع هذه التجارب العملية ، والمشاهدات الحسية فى صعيد واحد ، هو ما وضعه الأستاذ البسيكولوجى (إرنست بوزانو) فى كتابه المدعو (La Bilocation) ومعناها خروج النفس من الجسد ثم عودتها اليه ، ولذلك قد عولنا على ترجمته لقراء العربية . وإنى أرجو أن يكون أثره على المطلعين عليه هنا مثل أثره على المطلعين عليه هناك ، وأن يُعنى به المرشدون والوعاظ ليستطيعوا أن يحلوا شبهات المجادلين بأدلة قاطعة ، بدل تلك المحاورات التى تقابل بمثلها .

وإننا نبدأ اليوم بإيراد مقدمته ، ثم نوالى ترجمة فصوله حتى نصل الى نهايته ، إن شاء الله ، ويكون فى هذا تقدمة قيمة منا لقرائنا فى السنة المقبلة من حياة مجلة الأزهر .

محمد فريد وجدى

قال الأستاذ إرنست بوزانو فى مقدمته :

« إن ظواهر خروج الروح من الجسد ثم عودتها إليه ، ذات قيمة حاسمة فى إثبات وجودها وبقائها بعد الموت ، إثباتا مبنيا على التجربة . ذلك لأنه يدل دلالة قاطعة على أنه يوجد فى الجسم المادى جسم آخر أثيرى يمكنه أن يخرج حين يقع الجسم فى حالات نادرة من الهبوط الحيوى(١) ، كالنوم العادى ، والتنويم الصناعى ، وحالة الوساطة الروحية ، والذهول ، والاغماء ، والخدر والغَشْى . فكل هذه الحالات تسمح له بالابتعاد وقتا ما عن الجسم المادى فى أثناء الحياة الأرضية .

« إن هذا الجسم الأثيرى أو (البيرسبرى) إذا انفصل من الجسم المادى حمل معه الوعى الشخصى ، والذاكرة كاملة ، وجميع الخواص الحسية . وعلى هـذا يتحتم الاعتراف بأن هذا الجسم الأثيرى متى انفصل عن الجسد نهائيا بواسطة الموت ، فان الشخصية الانسانية تستمر

(١) أدت التجارب والمشاهدات فى المباحث الروحية الى ثبوت أن للروح جسما أثيريا على شكل الجسد الحال هو به ، وهذا الجسد الأثيرى غير قابل للتحلل ولا للفناء . وهذا يشبه ما ورد فى مذهب مالك بن أنس من أن الروح صورة كالجسد . وقد أجمع أهل الأديان القديمة حتى الجماعات الساذجة منهم على ذلك . وقد عنى العلماء الأوربيون والأمريكيون بتحقيق هذه المسألة ، فثبتت ثبوتا قاطعا ، وأصبحت من الأدلة المحسوسة على استقلال الروح عن الجسد ، وعلى بقائها مستقلة بعد الموت . والكتاب الذى نحن بصدده يسرد بعض الحوادث والتجارب التى جمعت فى إثباتها .

على البقاء فى الأحوال المحيطة بها والمناسبة لها . ومتى سُلّم بهذا فقد سُلِّم بأن وجود جسم أثيرى داخل الجسم المادى ، يثبت أن موطن الوعى والادراك هو هذا الجسم الأثيرى ، الذى هو الغلاف العلوى غير المادى للروح التى تخلت عن جثمانها .

« من لدن عشرين سنة اشتغل بهذه المسألة من مشهورى القائمين بالمباحث النفسية جماعة بعناية خاصة ، وأفردوها بالتأليف فى رسائل وكتب . أذكر منها ثلاثة مؤلفات وضعت فى فرنسا ، أحدها لجبرييل دولان ، والثانى لهنرى دورفيل ، والثالث للكولونيل دوروشا . أما فى إيطاليا فقد خصها الأستاذ لومبروزو بفصل من كتابه . وفى المانيا الدكتور ا . ماتييزن وقف عليها رسالة كبيرة بحثها فيها بحثا مدققا بطريقة جديرة بأستاذيته .

« أما من ناحيتى أنا ، فقد نشرت فيها رسالة فى سنة ١٩١٠ عنوانها : (اعتبارات وافتراضات على ظواهر خروج الروح من الجسد ثم عودها إليه فى أثناء الحياة) ، ولكن المشاهدات قد استمرت من ذلك الحين على الاحتشاد ، ووصلت من الكثرة الى حد بعيد ، حتى أرانى أملك منها الآن مواد تصلح للحكم عليها من ناحية عامة محكمة ومؤكدة بسبب تراكم موادها ومستنداتها . فإذا كنت قد صرحت فى رسالتى الأولى عن تبصر بأن الأدلة الناتجة من الحوادث التى سردتها لا تكفى لأن نمنح هذه المسألة قيمة علمية ، فانى الآن حيال هذا القدر العظيم من الحوادث المجتمعة والمرتبة ، أعتبر أن الوقت قد آن لأن أصدر حكمى فيها بصراحة وتأكيد .

« أما والحالة ما رأيت ، فانا سنحاول فى هذا الكتاب زيادة مادة الموضوع الذى نحن بسبيله ، متصرفين فى رسالتنا الأولى تصرفا تاما ، ومضاعفين حجمها ، وساعنى بأن لا أورد من المصادر التى ذكرتها شيئا من الحوادث ، لأن المستندات التى جمعتها الآن من الكثرة بحيث أرانى مضطرا أن لا أستغل منها إلا مقدارا قليلا . وأرى من الحكمة أن آبى استخدام حوادث سبق أن اطلع عليها جمهور الناس ، مهما كانت مفيدة وذات دلالة فى النظرية التى أؤيدها . وزيادة على هذا قد أخذت على نفسى أن أتخذ أسلوبا خاصا لتجنب خطر الوقوع فى تسلسل الآراء الذى يمنعنى من تدوين بحوثى الشخصية بوضوح تام .

« فأحول نظر الذين يودون التعمق فى هذه المسألة بعد قراءة كتابى أن يطلعوا على مؤلفات دولان ودورفيل ودوروشا ولومبروزو ودوماتييزن .

« والذى ألاحظه ، قياما على أسلوبى الخاص فى الترتيب الذى أنا بصدده ، أن ظواهر خروج الروح من الجسد ثم عودتها إليه يمكن أن تنقسم الى أربعة أنواع لكل نوع منها قيمة نظرية مختلفة ، فاليك :

« فى النوع الأول سنأتى على أحوال الشعور بكمال الجثمان لدى الذين بترت بعض أعضائهم أو المصابين بالشلل النصفى ، وهذه حالة قيمتها النظرية أكبر كثيرا مما يظنه الناظرون .

« وتدخل فى النـوع الثانى الأحوال التى فيها الشخص يرى جسمه الأثيرى منفصلا عنه وهو حاصل على وعيه فى جسمه المـادى .

« وتأتى فى النوع الثالث الحالات التى فيها الوعى كله ينتقل الى الجسم الأثيرى المنفصل عن الجسم المـادى .

« وتجىء فى النـوع الرابع الحـالات التى فيها الجسم الأثيرى لحى أو لميت يكون مرئيا من الناس جهرة .

« أما من الناحية الفيزيولوجية فيحسن التنبيه بأن لظواهر خروج الجسم الأثيرى للروح من الجثمان ، صفة مميزة ذات دلالة عالية ، هى أنها كلها متشابهة ولها سبب عام رغما عن الأشكال المختلفة العديدة التى تظهر بها ، وهـو تشابه دائم لم يعتره تغير فى أى زمان ومكان ، ولدى كل شعب من شعوب الأرض (ومنها الجماعات المتوحشة) ، بحيث أصبحت نقطة تلاقى جميع لأدلة التى يمكن أن تقام لإثبات وجود مستقل للروح الانسانية . ويحسن أن يلاحظ أيضا أن هذه الحوادث من الـكثرة بحيث إن ما جمعته أنا منها لا يكفى سفر ضخم لاستيعابه . هذه الـكثرة بعضها ناشىء من أن مجالها متسع الى حد شموله لـكل ظواهر الوساطة ذات النتائج المـادية ، حتى المشاهدات التجسدية التى توجب على خصوم النظرية الروحية الاعتراف بصحة حوادثها . وبعض هذه الـكثرة أيضا أتى من تسرب عدد عظيم إليها من الأحوال التى كانت تعتبر الى الآن من الظواهر التاباتية .

« وأنا بعد إتمامى ترتيب هذه الظواهر سأكتفى بعرض عدد كاف من الحالات النموذجية مع تحليلها وشرحها بإيجاز ، محتفظا لنفسى بحق إبداء اعتبارات عامة عليها فى خاتمة هذا الـكتاب .

الجرأة فى الحق

عن سفيان بن عيينة قال : قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر الى شاب منهم يتجوس للـكلام . فقال : أكبروا أكبروا . فقال الشاب : يا أمير المؤمنين : إنه ليس بالسن ولو كان الأمر كله بالسن لـكان فى المسلمين من هو أسن منك .

فقال عمر بن عبد العزيز : صدقت رحمك الله ، تكلم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك .

قال عمر : فما أنتم ؟ قال الشاب : وفد الشكر . فنظر محمد بن كعب القرظى الى وجه عمر يتهلل . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك ، معرفتك بنفسك ، فإن ناسا خدعهم الثناء ، وغرهم شكر الناس ، فهلـكوا ، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم .

فألقى عمر رأسه على صدره .

اختلاف الناس فى أيام الشهور القمرية

نشر تحت هذا العنوان بالجزء السابع من هـذا المجلد مقال لحضرة الأستاذ المحترم « محمد حفظى » حاول فيه بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجة » . فجعل ذلك إشارة الى تنبئه صلى الله عليه وسلم بما قرّ عليه قرار الأرصاد الفلكية من أنه لا يمكن أن يكون كل من رمضان وذى الحجة ٢٩ يوما فى عام واحد .

وإنى مع تقديرى لجهود حضرته ، أستميحه عذرا فى أن أخالفه فى هذا الرأى ، وأقرر أن الأصح ما ذهب إليه الامام النووى وغيره من أن الحديث يشير الى عدم نقصان أجرهما ولا شأن له بعددهما ؛ فإنهما قد ينقصان معا — حقيقة وشرعا — فى عام واحد ، كعامنا هذا (١٣٥٩) وعام (١٣٤٥) وغيرهما ، مما يعلم بمراجعة التقاويم الموثوق بها .

والحساب الذى أطال حضرته فى بيانه وأوضحه غاية الايضاح ، إنما هو حساب وسطىّ لا يطابق الحقيقة شهرا شهرا وإن طابقها باعتبار مجموع من الأشهر مثل ٢٢٣ شهرا ، وذلك أن الشمس والقمر قد يسرعان فى السير وقد يبطئان فلا تستوى مقادير الأشهر ولا السنين إلا إذا نظرنا الى مجموع من كل منهما ، وإنما اعتبروا هذا الحساب وإن لم يطابق الحقيقة لأنه يسهل العمل به فى المسائل التى يكتفى فيها بالتقريب ، ولا يصح بحال أن يكون الحديث مشيرا إليه ؛ لأنه فرضى تقريبى كما عرفت ، ولأنه يقتضى أن تكون الأشهر الفردية كالمحرم وربيع الأول كوامل دائما ، والزوجية كصفر وربيع الآخر نواقص دائما ، إلا ذا الحجة ، فانه يكون كاملا فى الكبائس وناقصا فى البسائط ، فيكون رمضان على هذا ٣٠ يوما دائما لأنه فردى ، وهذا يخالف القانون الشرعى المجمع عليه ، وهو أن الشهر هكذا وهكذا « أى تارة ٣٠ وتارة ٢٩ » . كما يخالف القانون الفلكى المتفق عليه ؛ وهو أنه يجوز أن تتوالى أربعة أشهر كل منها ٣٠ يوما ، وأن تتوالى ثلاثة أشهر كل منها ٢٩ يوما ؛ وتحقيق هذا يحتاج الى مقال خاص .

على أننا لو جارينا حضرة الأستاذ الباحث وفرضنا أن هذا الحساب حقيقى ، فإننا لا نحصل على النتيجة التى جزم بها وكتب المقال لبيانها ، وقد كفانا حضرته مؤنة البحث معه فى ذلك ؛ حيث قرّر فى الجدول الذى وضعه أن التاسع والعشرين من شعبان يتم بتمامه ٢٣٦ يوما من السنة ، فإذا لم نر الهلال فى الليلة التالية فإنها مع يومها تلحق بشعبان ، عملا بالحديث الصحيح « فإن غم عليكم فأ كملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، فبإ كمال شعبان يتم من السنة ٢٣٧ يوما ، ومن الممكن بلا شك أن يكون رمضان بعد ذلك ٢٩ يوما لأنه نقص من أوله فيجوز أن يرى هلال شوال ليلة الثلاثين منه بلا تعسر ، وبمضى رمضان مع نقصه يتم من السنة ٢٦٦ يوما ، فيكون ذو الحجة ٢٩ يوما كما قرره هو فى جدوله .

والذي أوقعه فى هذا الوهم أنه أوجب عند نقص رمضان أن يتمّ به من السنة ٢٦٥ يوما فقط ، وفاته أن اليوم الذى نقص من رمضان بحسب الرؤية قد ألحق بشعبان .

على أننا لو فرضنا أنه تم برمضان ٢٦٥ يوما فقط وكان النقص لاحقابه من آخره لرؤية هلال شوال قبل ميعاده الحسابى ، فمن المعقول أن يلحق هذا اليوم بشوال ، فيكون ٣٠ يوما ويبق ذو الحجة ٢٩ يوما ، فينقصان معا هو ورمضان .

وبعد : فنى المقال ما يوهم أن تسمية الشهرين من تفسير الراوى « خالد » لا من متن الحديث ، لأنه زادهما عن الراوى الآخر « إسحاق » ، وهذا لا يصح ، لأمرين : أحدهما أنه لم ينفرد بها بل شاركه فيها غيره كما يعلم بمراجعة الكتب الحديثية ، وثانيهما أن زيادة الراوى الثقة فى متن الحديث لا يصح الحكم بكونها من عنده إلا بدليل من الأدلة المقررة فى كتب « مصطلح الحديث » ، وليس من الأدلة نقص الراوى الآخر ؛ وقد روى هذا الحديث البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد والطبرانى والبزّار ، ولم يصرح أحد منهم بأن هذه الزيادة من تفسير الراوى ، ولذا ذكرت فى الكتب التى ليس فيها ذكر للراوى خالد ولا غيره كالتجريد الصريح وتيسير الوصول والجامع الصغير ، مضمومة الى أول الحديث مع نسبته كله الى النبي صلى الله عليه وسلم .

بقى فى المقال أخطاء فى الأرقام منشؤها الخطأ فى التحويل أو الجمع ، وأنا أذكر هنا الأرقام الصحيحة إتماما لفائدة القارئ الكريم :

	ثانية	ق	س	يوما	
الشهر القمرىّ الوسطىّ	٢,٩	٤٤	١٢	٢٩	أى ٢٩,٥٣٠٦ ، ورقم ٦ فى أول

الكسر أكبر من الحقيقة بقليل لأن أصل الكسر هكذا ٠,٥٣٠٥٨٩ ، وعليه تكون السنة القمرية الوسطية ٣٥٤,٣٦٧٠٦٨ يوما . وللاختصار يحذف الرقمان الأولان من الكسر ، ومجموع ٢٢٣ شهرا يساوى ١٨ سنة شمسية و ١٠,٩٦ من الأيام تقريبا .

هذا ولحضرة الأستاذ الباحث فضل السبق بالبحث ، وما قصدى إلا إعانته على الوصول الى الحق الذى هو غاية آمال الباحثين .

على حسن البولاقى
المدرس بمعهد الزقازيق

من أخلاق الشريعة الاسلامية وآدابها

لم تكن الشريعة الاسلامية قانونا تحكم عليه ملابساته وبواعثه ، وتخضعه لعصر من العصور معين ، أو جيل من الأجيال يتأثر ويسير على هداه ، بل هي شريعة أبدية البقاء ، ربطت بين أجزاء الماضي والحاضر والمستقبل بأوثق العرى ، فأخضعت النواميس الكونية ، والعوامل السفلية والعلوية لأجزائها ودلالاتها ، وتطورت الحياة تطورا مطرداً ، فما ترى دورا من أدوار التاريخ الانسانى إلا صبغته الشريعة بآدابها وأخلاقها وعاداتها وشتى شئونها المختلفة ، وخلعت عليه طابعا من طوابعها ، فأنارت ظلمته ، وأحيت ميته ، وحركت جامده ، وبعثت فيه الحياة والقوة والنماء باذن الله : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون » .

هذه شعوب تطأ بأخمصها تلك الرقعة السوداء فملأتها علوما آلية ، ونظريات كونية ، ومكنونات تمخضت عنها العقول المشرقة ، والعزمات الوثابة ، فأفاضت على الوجود حياة مثمرة ، وسعادة جلى ، ولكنها صدفت عن دينها ، دين الفطرة والملة الحنيفية البيضاء ، فهوت وذوت ويبس عودها ، وأصبح داؤها عياء ، وعلمها هباء ، ذلك لأنها حادت عن طريقها السوى ، وناموسها الجلى .

وهذه دول فى الأرض اليوم تتناحر فى سبيل الفناء ، ويحاول بعضها تفتيت البعض الآخر ، وما من أمة أخذت بقسط من دينها وسهم من شريعتها إلا كتب لها الله المنعة والقوة والسؤدد ، وبوأها فى العالمين مكانا عليا .

وهذه أمم الاسلام فى صدر الاسلام كانت تدانى الشمس فى عليائها ، والكواكب فى بعد منالها ، لأنها أخذت بالدين فى أمرى معاشها ومعادها .

وإلا فأين نظم الشرائع الوضعية على تقادم العهد بها ، واعتناق آلاف ملايين البشر لاحكامها ، من تلك الشريعة الخالدة الباقية على الزمن ، تلك الشريعة التى رسمت فى لوح المجتمع حياة الفرد ، وحياة الجماعة ، وحياة الأمة ، ودعت العقل الى التفكير والتعمل ، والنظر فى ملكوت الله الذى برأ السموات والأرض ، وكيف أنه سخرما فى الأرض جميعا للإنسان ، وكيف أنه سبحانه أخضع لذلك الجرم الصغير أجرام الكائنات ، فبصر الإنسان بالعوالم كلها فإذا هى بين يديه مسخرة ، وإذا الأقدار القاهرة من حوله مدبرة ، وإذا العقل يتلاقى مع الدين ، وإذا الدين يثمر حسن اليقين . فتبارك الله أحسن الخالقين .

لقد أحاطت الشريعة هذا المجتمع بسياج صفيق ، فدبرت للجماعة وللأسرة حياة سعيدة

وعيشا رغدا ، فوضعت لعلاقة الزوجية حدودا ، وجعلت بين الرجل وزوجته مودة ورحمة ، وأحالت ما بينهما من تنكر وشتات ، الى محبة وتعارف وائتلاف ، ثم وصلت بين الإنسان وخالقه ، وصاحب الرسالة التى جاءت على يديه ، ومقام الرسل فى البشر ، فابانت أسرار الوحى السماوى ، وحكمة إرسال الرسل عليهم السلام ، وعن حكمة بعثة الرسول الأعظم على فترة من الرسل ، وكيف ثبتت تلك الرسالة بشتى وسائلها ، ثم عن معجزات الرسول الدالة على رسالته ، وعن إعجاز القرآن ، وكيف تحديت به بطون العرب وأفخاذهم ، ثم عن المعاملات فى أوسع حدودها ومختلف شئونها ، فقد بسطت الشريعة السمحة سائر التصرفات التى تقع من المكلف كالبيع والسلم والإجارة والقراض والوقف والهبة والعارية ، وعن الربا والحكمة فى تحريمه وجزاء مرتكبه دحضا لنظرية فاسدة تقول بحل الربا لأنه من قبيل ما عمت به البلوى ، وهو قول لا يرتكز إلا فى رءوس خلت من كل شىء إلا من الجنون ، وامتلأت بكل شىء إلا بالعقل والحجا ، وهكذا مما يطول تعداده ، ويتعذر حصره من آياته الباهرة ، وحكمه الظاهرة .

ولا شك أن الشريعة التى تشع على الوجود قبس النور واليقين ، وتفتح أعين الناس على عظات بالغات ، وحكم سابغات ، لهى تلك الشريعة التى سمت بالمجتمع الى خير طريق وأبلج محجة . ويقيننا أن الله لو أتاح فى المستقبل إن قريبا وإن بعيدا للشريعة المطهرة رجالا يكشفون عن جلالها ومبلغ خطرها فى المجتمع ، ويبصرون الناس بحسن آثارها وعظيم جدواها لا نصرف الناس عما هم فيه من زخرف حائل ومتاع زائل .

« ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار » فإلى الغد القريب ؟

عباس طه

الكمال فى الاعتدال

قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ، قال من قيس بن عاصم المنقرى ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له هـذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه . ثم التفت الى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخى أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لا بن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .

نقول : قد يبدو هذا الضرب من الحلم ، إن صح وجوده ، مثلا أعلى لبعض الناس ، وهو لا يستحق أن يسمى حلما ، فان الذى يعرض عليه قاتل ومقتول ، فلا يقطع كلامه ، ولا يحل حبوته ، حتى ولو لم يكن ابنه ، لا يعقل أن يكون مستكملا للغرائز الانسانية .

كتاب لدولة رئيس مجلس الوزراء

آنس حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحترم الشيخ محمود أبي العيون ، شيخ علماء الاسكندرية ، تاخيرا فى اتخاذ الوسائل التى كان الغرض منها صيانة الأخلاق وتحديد المهر وحماية شهر رمضان ، فرأى أن يستنجز حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ما وعد ، فأرسل فضيلته إليه هذا الكتاب . وقد وصلنا بعد ظهور المجلة فى الشهر الماضى ، فنثبته اليوم :

حضرة صاحب الدولة الوزير الأكبر حسن صبرى باشا رئيس مجلس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد . فأن الله سبحانه وتعالى كتب لك السلامة والفوز بما أعدّ لك من الأقدار والألطاف فى كل ما يتجه اليه قلبك الطيب . وتعالجه رغبتك الصادقة من الأعمال الجسام ، وفى ذلك كرامة لك من الله سبحانه وتعالى جديرة منك بالشكر له والثناء عليه .

وشكر الله عز وجل من موجبات الاستزادة من الأعمال الصالحة لهذا البلد المسكين « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خبث لا يخرج ألا نكداً » وأن أخشى ما نخشاه أن ما يجرمه الجارمون فى هذا البلد . وما يجنونه عليه من التحرّش به والاستطالة عليه بسوء التدبير فى هذه الظروف القاسية لمما يطيح به الى مصاير التدمير والانحلال .

وها أننا نبذنا أخلاق الدين ، واستهنا بتعاليمه الصالحة ، فأصبحنا فى مفترق الطريق تساورنا عوامل الفناء من كل مكان . وها هى نوادينا ومجتمعاتنا غاصة بكل فاجر وفاجرة . وفيها تقام أسواق الخنا والمتاجر الآثمة فى استهتار وقحة ، هذه حانات الخمور مفتحة الابواب مبكّرة ممسية ، وهذه ملاعب الهوى ليس لها مواعيد مؤقتة ، وهذه أندية القمار بمختلف أنواعها ، من مراهنات الخيل وسباقها ، وصيد الحمام وغير الحمام ، وهذه بيوت الفسق أعلاناً وأسراراً يمج فى مسارحها أعلام الفساق مجيجا . ويعب أشباه الرجال فى آثامها عباً . فإذا جهرنا بقولة الحق فيهم سرسروا ورمونا بالجمود والجهل بحركة العالم وتطور الدنيا .

يا دولة الوزير الطيب : ألا نجدة منكم تقوّم المعوج وتردع الفاجر وتصلح الفاسد . ألا صولة مُرعدة تحميها من خلفها صرامة الحق وتأديب الشارع الحكيم . فيبقظ النائم . ويرهب الآثم . ألا غضبة للدين والأخلاق تجلُ هذا الظلام الحالك وتنير الطريق للسالك . وتحول هذا الحال الى أحسن الحال ؟

أننا فى حاجة الى حكومة قوية عنيدة . تسوقنا الى الخير سوقاً ، وآمالنا فيك أن تكون رأس هذه الحكومة القوية فى الحق ، العنيدة فى الباطل .

ضاق معاوية بأهل البصرة ذرعا لخروج أهلها عن جادة الحق . بانغماسهم جهرة فى الفسق . فرماها بداهية العرب زياد بن أبيه ، فخطب فيهم خطبته البتراء المعروفة ، وما أعوزه الأمر بأ كثر من الترهيب والتوعيد . فاستقام أهل البصرة ما بين عشية وضحاها .

نحن لا نعجزك فى الطلب ، نطلب منك هينا يسيرا طلبناه من قبل فوعدت بأنجازه وأنجز حر ماوعد . نطلب منك أن تحد من هذه المشاين والمناقص بأمر عسكرى . وتضيق الخناق على الجارمين باسم المدنية والحرية الشخصية .

وأن الأمم الكبيرة ، والدولات الصغيرة فعلت ذلك فى شعوبها فنجحت نجاحا كبيراً .

يادولة الوزير الطيب : تعب رجال الدين فى الدعوة الى الله لأن الدعوة فى حاجة الى التأمين والحماية . والله شرع لحماية دينه والدعوة إليه الحدود والعقوبات لأخافة أهل الباطل وردع الفجار المستهترين .

وبعد . فهذا زائر مبارك هو شهر رمضان المعظم ، واحترام هذا الضيف وتقديسه أنما يكون بتطهير البلاد من المعاصى . ومن انتهاك شعائر هذا الشهر الكريم ، ولهذا ننتظر من دولتكم أن تأمروا بتشديد الرقابة على المستهترين بحرمة الدين والآداب العامة وأخذهم بالشدة والصرامة فى ذلك حفاظا على قدسية هذا الشهر وحرمته .

وفقك الله وأعانك ويسر لك فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله ؟

شيخ علماء الاسكندرية

كتاب لسعادة محافظ الاسكندرية

وجه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون شيخ معهد الاسكندرية ، خطابا الى حضرة صاحب السعادة محافظ الاسكندرية ، يرجوه فيه أن يجدد لرجال البوليس ما أصدره سعادته اليهم من الأوامر المشددة فى العام الماضى بمراقبة الآداب العامة حفظا لكرامة شهر رمضان ، ويكرر لسعادته الشكر على ما أسلف من جهد محمود فى ذلك . وهذا نص الكتاب :

حضرة صاحب السعادة الجليل محمد باشا حسين محافظ الاسكندرية .

سلام الله عليك ورحمته وتحيته .

وبعد : فان شهر رمضان الكريم قرب حلوله ، وهو شهر مبارك يحتفل به المسلمون فى أقطار الأرض ، وتقدسه ملائكة الرحمن فى السموات السبع ، وتحل فيه البركات على المؤمنين .

فخليق بالبلاد الاسلامية أن تستعد لمقابلته بنفوس طاهرة ، وقلوب عامرة بالايمان ، ولهذا كان جديرا بأولى الأمر فينا أن يراقبوا المستهترين بحرمة هذا الشهر ، فى المقاهى والطرق العامة ، بالضرب على أيديهم ، وزجرهم بالتوعد والترهيب ؛ وفى العام الماضى كان لسعادتكم الأثر المحمود فى ذلك الموقف ، ولهذا نرجو الى سعادتكم إعادة الكرة بالتنبيه على رجال الشرطة بالمحافظة على تلك التعليمات التى صدرت اليهم فى العام الماضى ، وإنا بلسان الدين والأخلاق نكرر إليكم الشكر ، وندعو لسعادتكم بالتوفيق وحسن المثوبة .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

شيخ علماء الاسكندرية

دروس الفلسفة :

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الزنجانى شيخ علماء النجف الأشرف بإيران قدم راسخة فى مجال الفلسفة على وجه عام ، والفلسفة الاسلامية على وجه خاص ، وقد زار مصر فى سنة (١٩٣٨) فكشف عن عيلم علم ودين ، ونال إعجاب العلماء المصريين ، وتقديرهم العظيم .

أهدانا فضيلته بكتاب له جديد اسمه دروس الفلسفة ، كان سبق له تدريسه ، وكان السبب فى نشره ، أنه لاحظ أن الكتب الفلسفية التى ألفها الغربيون والشرقيون فى العصور الأخيرة صورت الفلسفة الاسلامية فى صورة تقشعر الأبدان من قباحتها ، ولا يعرفها أهلها إذا عرضت عليهم ؛ وسجلوا عليها أنها لا تزيد على أنها نظرات يونانية ، ولا يوجد فيها شيء من الابداع والابتكار ، مما يثبت جليا أن الغربيين لم يفهموا الفلسفة العربية لغموض أساليبها فأسقطوها . والفلسفة الاسلامية وإن كانت زاخرة بالمبدعات والمبتكرات ، وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة ، إلا أنه لا يحشمها أن تبلغ الكمال فتسجل المكتشفات قبل حدوثها بألف عام .

قال فضيلته بعد أن بسط القول فيما تقدم : « وليس المقصد من ذلك نبذ الفلسفة الحديثة ، كلا ! فإن كلا من الفلسفتين قوة عقلية ناجزة ، وعدة فكرية ناهضة يجب استغلالها ، ولا يجوز الإستغناء عن كل منهما » .

لنا كلمة بعد هذا وهى : أن هذا الكتاب يكشف من سمو الفلسفة العربية مالا يكشفه كتاب غيره ، ويحاكم الفلسفة المصرية محاكمة دقيقة تتبين منها حاجتها الى التكافل مع الفلسفة الإسلامية . وهذا مرمى بعيد المدى جدير بإطالة النظر ، وإجالة الروية ، ولا أظن أن الفلسفة الاسلامية وجدت مدافعا عنها أكثر غيرة عليها ، وأدق نظرا فيها ، من فضيلة الأستاذ الزنجانى أثابه الحق على عمله الطيب .

روح الإسلام :

وضع هذه الرسالة حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الغفار الهاشمى الحسينى الأفغانى من طلبة العلم الأجانب بالأزهر ، وهى كما يدل عليه اسمها تعريف بالاسلام من ناحية أصوله الروحية والجسدية . وهذا جهد منه حسن ، ومحاولة للتأليف بالعربية الصحيحة نقابلها بالتنشيط . ولكن الأمر الذى لم نقره عليه هو ما أفاض فيه من المقابلات بين الدين الاسلامى وغيره ، فهذا مالا يحسن أن يكتب على الصورة التى أوردها .

ثمن النسخة عشرة قروش تطلب من مؤلفها برواق الأتراك بالجامع الأزهر . فنحث الخيرين على اقتناء هذه الرسالة مساعدة لهذا الطالب فى غربته وانقطاع المدد المالى عنه .

التربية الاجتماعية :

وهذا كتاب حافل بأصول التربية الاجتماعية لم نجد فيما طبع بمصر أجمع منه لها، فقد ألم فيه مؤلفه المفضال الأستاذ على فكرى أفندى الأمين الأول بدار الكتب المصرية ، بضروب الواجبات الخاصة من أول واجبات التلميذ الى واجبات الوزراء والنواب والأمراء ، ثم بصنوف الواجبات العامة ، من أول واجبات الانسان نحو نفسه الى واجباته نحو خالقه . ثم انتقل الى ذكر الحقوق وأتى فيها بجميع أنواعها وأنواع الحريات . ثم ختم الكتاب بالالمام بالآداب الاجتماعية من أول آداب المحادثة الى آداب الاحتفالات العامة .

فهذا الكتاب حاجة من حاجات هذه الآونة التى أصبح العقلاء فيها يشكون من ضياع الآداب الاجتماعية ، فكان وضعه من حظ الأستاذ على فكرى افندى ، وهو خير من يكتب فى هذه الشئون ، فنهنئه بهذا التوفيق .

جماعة السيدات المسلمات :

فى القاهرة جماعة للسيدات المسلمات تأسست سنة ١٣٥٦ (١٩٣٧) مركزها العام بشارع نور الظلام بالحلمية ، وهن ثلة من كرائم السيدات تحت رئاسة حضرة الآنسة النابهة زينب هانم الغزالى الجبيلى ، ولها مجلس إدارة ومجلس استشارى .

مهمة هذه الجمعية رفع المستوى العلمى والفكرى للسيدات المصريات ، وتدريب بعضهن على إلقاء المحاضرات فى الوعظ والارشاد ، وقد بلغ ايرادها نحو ٨٨ جنيها ، ولكنها أنفقت ١٥٤ جنيها . وقد قام بسد هذا العجز حضرة الرئيسة المحترمة فاقرضت الجماعة ٦٥ جنيها ، وإنها لأريحية يجب أن تقابل بالاكبار والاجلال .

ختام السنة الحادية عشرة :

بهذا العدد نختتم السنة الحادية عشرة لهذه المجلة ، وسنبدأ إن شاء الله سنتها الثانية عشرة فى أول المحرم لسنة ١٣٦٠ المقبلة . وإنا نعد حضرات القراء ببذل الوسع لجعل هذه الخدمة الشريفة أغزر ما تكون إنتاجا ، وأنفع ما تكون إثمارا . ستتصدر حالية الصدر بالدروس الدينية لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام ، وهى الدروس التى جلى فيها فضيلته من كرائم المعانى القرآنية ما جلى ، وبين من مدلولاته العلوية ما بين .

وفى هذه المناسبة نذكر حضرات قرائنا بأن يعنوا بإرسال طلباتهم الجديدة إلينا مشفوعة بقيم اشتراكاتهم بأذون بريدية يدون فيها أمام عبارة المكتب المكاف بالدفع كلمة (الأزهر) فحسب دون ذكر كلمة مصر .